**نحن ابناء الشمس و الابنوس**

 الهادى عجب الدور

الاهداء

الى اهلى الاعزاء

و الى اسرتى

 و الى عشاق الحرية ومناضلى الهامش و شهداء الحرية و الفكر

**وانا وحبيبتى لونان بلون قوس قزح**

1

الشمس القرمزية الراقدة وراء الغيوم السوداء المتخمة اختفت بسكون تتلوى بوجع الغربة , وانحناءات الرياح المعجونة برماد الارق تلف الحقول الرخوة الجافة, وعلى الطرقات المهجورة تتناثر اوراق الخريف الصفراء القديمة يغسلها مطر الشتاء الممل , و السهول المحفورة بأنين العيون المعتقة بالدموع الرمادية تترنح من قساوة الرعشة, وصقيع الشمال البارد يضاجع بنات الاناشيد بقساوة وسفور , و فى قاع الحروف تتجمد الاغنية كالجليد ويظللها السهاد العنيد بشحوب وحزن عميق , كل شيئ هنا عهرته الرياح واهداب المنفى كل شيئ هنا يتبخر و ينتحر بمواعيد ويتحرك بنكهة الدموع وحزن الشموع وهناك على الشاطئ البعيد تتذكرنى حبيبتى تتوسد الرمل تنادينى كرنين الاجراس وقداس الميلاد والمسافة بيننا طويلة طويلة بعمق السنوات الضوئية وحروف المطر الضبابية وعلى جنبى ترقد كل المواويل الخرساء تنهش دفاترى الرائعة و تشرد قصائدى بالنواح وقتامة المكان

وانا وحيد كجبال الصحراء فى قاع غربتى اقاوم وحل الاطياف ثمل بالأرق تحت وابل المطر صامد كصدى الموشحات واغانى الحكامات فى دارفور البعيدة ارتل انشودتى على محراب الماضى بشغف وعناد و استنطق وحشة الغمام المهاجر فى مسامات روحى المجندلة بالتيارات الشاحبة وصمت قوافلى المرهقة بالسفر وانين الليالى الباردة يرسمنى وعد خرافى بحجم التراجيديا ورحلة المواويل المبرقعة بالضباب ورائحة الجليد المعلق على اشجار الكستناء و الصنوبر تخرجنى من نصوص قصائدى عارى القلب حافى الاحشاء خاوى اللحظات اقتات من زاد الذكريات الجميلة واطياف اليقظة الرتيبة و التحف دموعى المالحة واحمل ذكرياتى فى احشاء جينات فؤادى مسكون بهمسات حبيبتى على تخوم الارض السمراء حيث تشرق الشمس من وراء الجبال الزرق والغابات الخضراء مسجون بقبلاتها السحرية كالشلالات تترنم فى وجهة الرياح وكالاغنيات تتألم بحلاوة الحرف الابجدى ونظراتها الدافئة كرنفال من افريقيا يتتبعنى بالغزل و الدعابة فما احلى البكاء عند الغسق حينما اتذكر اننى عاشق كرائحة المطر فى سهول دارفور عاشق مثل رحلات الغجر عاشق مثل طيور ليمبورغ لا تغنى الا حينما يشتد الشتاء ويحين قت السفر عاشق مثل التقاليد القديمة فى الصحراء البعيدة ومثل وشم القبيلة مكسو بعبق الابنوس ونكهة الحنة السودانية وتضاريس الجبال الزرق , وحبيبتى هنالك تنتظرنى على الشواطئ الدافئة كروعة تلال الرمال الرخوة يلفها الشوق والحياء فتنادينى بغنج والتياع تطل على روحى المسافر بوهج الاغنيات تغمرنى برحيق القبلات المدهشة وتطوقنى باسراب الاحلام السعيدة وفنتازيا اللقاء وتنثر قصائدى البنفسجية على صدرها المليئ بسحر المكان وخرافة المشهد وروعة الفتنة الخلابة فما احلى البكاء على دلتا الشجن وجدلية الشوق العنيد يتلألئ على قامة حبيبتى وحبيبتى عصفورة بشكل رحيق الخيال تسلبنى وقار السكون فى المنفى البعيد وتشعلنى بركان من اجنحة القصائد وقربان على محراب مواعيدنا وانتمائنا للشمس و المطر وانا وحبيبتى اسطورتان مكونة لمملكة الشجن نتدفق على محطات الوداع ومرافئ الشعراء كالمطر دون مواعيد وانا وحبيبتى لونان بلون قوس قزح و لوحة من شلالات الاشواق تزين منارات الاناشيد برعشة القبلات الاولى فى دنيانا و مدن من الحنين مرصعة برذاذ دفئنا القديم ننسج بأنفاسنا عش الفرحة فما اتعس ليالى الغربة حينما اذوب على نوافير الذكريات وتتسرب لأعماقى فيثارة الامل وانا احفر فى خلايا روحى صورة حبيبتى كالقمر تتموسق فى دمائي طقوس واناشيد برائحة المطر و الياسمين وبريق اللؤلؤ وقبلات المراهقين بمقياس رسم تجهله الجغرافيا والسفن الغارغة فى امواج الحنين وانا فى قاع الغربة الباردة اتمرجح على صدى صهيل قصائدى العامرة بالسفر ورحيق الاطياف العذراء اتوارى خلف ارق العيون المغسولة ببخور الذكريات المخملية وعبق الدعابات الرقيقة ودفئ الانامل الذهبية وروحى المثقوبة بالالم و دموع الترحال ترسم على الثلج ارق الغربة الباردة وشحوب المكان وصورة مليون عصفور وسط وحل المواويل العنيدة يتمنى نسمات السهول الرائعة تهب باللهفة والاشواق والدعابة وتغرس فى كل صحراء شاحبة الف غابة مسقية بالحب والحنان محفوفة بشعاع الشمس الذهبية وزغاريد حبيبتى يتناثر منها الدلال السحرى وعنج الجمال السرى وروعة المشهد وحفاوة الموعد وهيبة اللقاء فما احلى قصتنا عندما نحلم وننسى نواح الرياح الباردة وشبح الاحزان وقتامة المكان

2

ما زالت الذاكرة تختزن فى جوفها هدير بركان الشوق يترقرق كنهر الشموس البنفسجية تتوسد تلال الرمال السمراء المعطرة بحكايات الطفولة الرائعة و اغنيات الصبايا البدوية تتمرجح بنشوة ودعابة بحبور وانشراح على تخوم وادى الاراك الراقد على اكباد الوهاد البعيدة وتتنسم رائحة غصون الجزو المنعشة تتمدد على تراب سافل الصحراء كالحرير السمرقندى جميلة ورائعة كالموعد السرى تتلون فيه باحات الفروسية و الغزل و القبلات برحيق التآملات وشبق المكان ودفئ العيون البدوية ترسم مليون لوحة بحجم رمال التلال وجروف الوادى وهمس الرياح وزغاريد الطيور مع بواكير الصباح تعرش عش القصائد برغوة الاحلام وقشطة الغمام وسجع الشجن وحنين الخيمة وسط الفريق تعانق نسمة العشيق والخيمة قصيدة منسوجة من وهج الفرح وعبق ليالى السمر مرسومة قناديل واكليل على محطات السفر موشمة بالرحيل ودموع الشوق ولهفة العناق

3

وقفت بشحوب يظللها الضباب المالح تترنح مترعة بالضنى على تلال الجليد الهشة عارية الصدر كشجرة التفاح الموشمة بالحنين تفوح منها رائحة الغربة الباردة تلملم بقايا الزفرات المحطمة بالعزلة و قتامة مراجيح المكان ونهديها الاسطوريان الناعمان المحرومان دفئ المساءات المخملية يرتعشان من رغبه العناق الجامحة كالاقواس الحريرية تأخذ لون الاضواء البرونزية المختنقة بالصبر والسكون المدفونة برماد الارق الثقيل وصدرها العالى الحالم بالفنتازيا وطلاسم اللهفة وروعة المواعيد المرهفة يتراقص كألامواج التى اختلط عليها شكل المد والجزر و حلماتها الملجمة بالصقيع والثلوج و المسكونة برهبة الموعد ودهشة المنظر اطلت برفق كالقناديل السرمدية المجهولة على تخوم السهاد الطويل تستنشق عبير الاحلام القديمة و رذاذ المطر الازرق المحفورة بفتنة المشهد والذكريات يتلألئ على اهداب رموشها العامرة بحفاوة اللقاء كصدى الاغنيات تترقق بالشجون ورحيق المواويل ونظراتها السحرية المعبقة بعطر الحنان والشوق تتمرجع رويدا رويدا خلف الشعاع الدافئ المهاجر بغنج على مسامات الحروف البنفسجية و وهج قوس قزح ونبض القبلات المدهشة المعروشة بسمفونيات الشبق ودفئ الاحضان الخرافية المنظر والغيوم الشاردة تختزن مشهد وجنتيها الورديتان ووجنتيها اسدلت ستارها بموج الارق وحموضة الاحزان وحاصرتها كخيمة الرحالة التائه بين انهار الجليد تهتز ببرود ولا يستقر لها مكان على ألسنة الوادى المسكونة بالخوف والعزلة و الذبول غرقا بصرامة المشهد .

 كل شيئ من حولها يتقلب كأهداب الرياح الرمادية الكسولة يتحرك مصدوما بالسكون الموحش وشلالات الدموع السخينة منكمشا بلا رائحة مألوفة لنبضات القلب العامر بحكايات السفر والرحيل فى مسامات النظرات المحدقة و عيونها الآسرة الفاتنة اعتنقت البكاء المبرقع بالشهقات الخرساء وامتهنت السهاد المغبر بحوافر القصائد السامة كحروف الانين المقهورة والمتقوقعة بزبول وانكفاء على مسارات رياح الفصول العاقرة وتعرجات السنين الثملة بالانتظار وانفاس الايام المهشمة بالملل ورتابة الطقوس الفطيرة لم يعدهنالك موعد مليئ بالشجن والمواويل يتسرب فى خلايا روحها المثقوبة بصهيل الافكار الشاردة وزحمة الارق و تضاريس الليالى الحالكة كل شيئ هنا يترنح معها يرتجف من قساوة هذا البرود الرهيب .

ما اتعس شتاء الشمال البارد حينما يمتد فى عصب القصائد البلورية ويشل خفقات نهود الحكايات بالزكام والارتعاشات الطويلة ويرسم طلاسم الانحناءات موعد مفتوح للاحزان والتجاعيد وسجن لشعاع الفرح والزغاريد . وتحت سقف النجوم البعيدة المبلدة بالضباب

4

 انت رائعة مثل وهج الفنتازيا المغسولة برحيق الشجن ودموع الاغانى البدوية , انت جميلة جميلة مثل محراب الشعراء المنقوش بأريج مليون قبلة استوائية وسط الوحل تتدفق عسل بعطم الهوية وخرافة المشهد العميق , انت حلوة كرائحة مطر السافنا المدهش تعانق الاحلام الخفية و شلالات الذكريات الوردية و خفقات نسمات الارخبيل الدافئ فى جوف انشودتى تردد احلى اسم ونشيد بدعابة دعينى استوقفك بسكون رغم الزحام رويدا رويدا خلف شواطئ النيل البعيد واقرأ على شفتيك قداسة المكان واتبخر واذوب كتمثال الجليد امام عينيك الدافئة دفئ مشاعرى ودمائى واسألك من انت حين اذكرك فى سرى وانحناءات قوس قزح وحين استنشقك بلسم فى ضوء الصباح وحين اشتهيك كالمرآيا لاتملها نظراتى الطويلة واطل من حولك اتخفى بين اشرعة قواربى مدمنا منظر غابة التفاح فيك اى لون انت عندما تتلاشى الالوان فى عالم البنفسج الخلاب المحفور قصائد للابد تتلألئ كمراجيح دولة الياسمين وكاتدرائيات همس الاناشيد المسقية برعشة الشوق اى لغة انت فى كوكب الشموع و القبلات ودلتاوات انتمائنا للمطر الاستوائى وقاموس الدموع و اى سماء انت حين تظللنا السماء بالنجوم وألق الاحلام ورنين رحلاتنا الطويلة بمقياس رسم يتحدى تضاريس الخريطة اى صوت انت فى سمفونيات حزنى وارقى وفرحى اه دعينى آتأملك دون مواعيد وبطاقات هوية تحدد اقامة حروف ابجدية اغنياتى على منارات صدرك العالى الممشوق بالقوافى الفاتنة ومتعة الدهشة كسحر امبرطوريات الرومان العامرة بفاكهة غصونك و نوافير البخور واكسير شجونى وطلاسم أستسلامى على نكهة ميلاد شغفى الندى من انت حينما اقاتل الرياح والامواج بأسمك سرا وعلانية على باحات مدنى السرية والف حولك مشتعلا كالأسطورة الهندية وارسم صورتك على صدرى فى الليل الهادئ وانقش نبرات صوتك الرخيم وشم يحمل انتمائى لقبيلة مزاجك السريالى اه يا روحى المدفونة برماد الوداع و نوافير الشجن وغازات الرحيق على مد البصر و الافق المعروش بغمزات الغمام وما زالت القصة طويلة بين ضلوعى تلهث على دربك الممرد بالترانيم والزغاريد واكاليل العناق كرحلات العصافير السرمدية فى قاع اوقانيوس اللحون العميقة و سجع ومض عيونك يتسرب على صفحات مهجتى المسكونة بشعاع الغزل الرقيق وخواطر الشوق الانيق اه ثم اه وانا مازلت طفلا يسبح على نهر انتمائاتك لنارالحروف وشبق القصائد ورعشة الاحلام القزحية وانا على دربك سأولد من جديد بدون اسم وهوية اخلط اسمى بأسمك واكتب عنوانى على كل المرافئ وفى فقاقيع الماء وزخات مطر الشتاء وفى رمال الصحراء وفى شوارع المدن البعيدة وفى دمى ولعب الطفولة وفى احشاء الحروف البضة و استنطق ومض العيون المنسوجة بالارق و بالفتنة ومن حولك تظللنى الذكريات الرقيقة المعروشة باللهفة وعبق الحنان و بطيف المواويل الشجية كالشلالات الذهبية تتمرجح على فيثارة نبرات صوتك المارد وهمس شفتيك المليئة بغنج الكلام و سحر الالتياع وانا فى قاع الغربة الباردة احلتم بحوريات الاناشيد وانت احلى حورية تسبح على قلبى وقلبى وحيد كرذاذ المطر الشارد اتلوى بالوحشة والملل الرهيب وصهيل الاحلام يطاردنى ادفن جراحى فى لب جراحك واسقيها بدماء قصائدى البكرية و انفاس اشواقى الحبلى بصورتك الخرافية و تنساب فى روحى كمرح الصبا وتغاريد الاناشيد الحنينة

**اكتبيني نشيدا للأحلام والإنسانية**

1

غدا سيمتلئ نبض دمائنا بالزغاريد كأغنيات الصبايا المقدسية، وتشرق الشمس من تحت رموش الصبا بعناد وعنفوان، ويتقرهد نشيد النور والياسمين عبر الشعاع الدافئ، لنعانق أحلامنا كعصافير في سرب طويل، وتصحو من حولنا الحياة كترنيمة مليئة باللهفة والأشواق. ونظل نحلم بالمطر والأمان، نحلم بشموع الوطن تتراقص كمنارات أرواحنا البريئة وتضئ قاع جراحنا الكئيبة وسرداقات تأملاتنا، وتعطر سماوات أفراحنا النضرة بطعم الأمان والدعابات، ونظل نحلم بالدفء ونتذكر وميض النجوم محرابا للأمل وقبلات برعشة الشجن، ومزاحا وأهازيج بزغرودة الوطن، ونظل نحلم برائحة الخريف في أفريقيا ورونق الأرض السمراء ومخاض السهول الخضراء وعناد الليالي، تلك هي موسيقى الغسق وأجمل تحفة ليوم غد.

وسنظل نحلم حتى غدا، حتى تمطر سحب الرحيق، فننسى العتاب وننسى هراوات العذاب، وسنظل نكتب عنوان الشمس على شفاه جراحنا وعلى غمزات حبيباتنا، وعلى بريق أحلامنا، وعلى همسات صغارنا وعلى قمة انتماؤنا، وسنظل نحلم، ولن ننسى أنشودة الرعود والمطر على مقلة الخريطة التي وهبناها أرواحنا وقصائد النيل، وسنظل نحلم إلى آخر قطرة من المستحيلات حتى نرى شمس التضحيات جهرة كالأهرامات الفرعونية والآثار البابلية وننسى تراجيديا المنفى داخل الوطن، داخل تابوت الظلام، داخل قبو السلطان.

2

عندما كنا عمالقة يوما ما ندير عجلة التاريخ، لم نشته اغتصاب الشمس الرهيبة ولا بنات القبيلة، ولم نختبئ كالخنافس بين أكوام الأشياء، وثقوب الحيطان العميقة، ولم نشته أن نرث مهنة السجان، هذه هي سيرة النيل بفروعه ودموعه لا تحتاج لهزائم ملفقة وشهادات ميلاد موثقة لنثبت بها ما ورثناه الآن، ونحن أنصاف أحياء وطيوف أموات والى جانبنا نخلات العراق وقصور هارون الرشيد الفسيحة. هذه قصتنا العرجاء، لكن عندما تذبل في دنيانا أنوار المدينة، وعندما تتحطم في مسامات أعماقنا أشرعة السفينة، لابد للنيل أن يحفظ في جوفه لون القمر، وحزن المرايا، ودموع التخوم، كي تتمدد بالرحابة والتألق المهيب، وكي تتجدد بالفرح والشجون، ولن يمل احد ولن يكل احد، ونحن ما زلنا عمالقة بذكرياتنا الجميلة بأحلامنا الكبيرة حتى لو لم يبق شيء على أهداب شمسنا التي عشقناها على ربوع الخريطة وأذرع الأيام الرخوة المنسوجة بالفرح وعبق السلام.

3

رغم بكائنا الطويل رغم شكلنا المستحيل، قد تمتد أجنحة المرايا السحرية، عبر الابتسامات العامرة، وعلى بهوها نتفقد أنين أمنياتنا الخجولة وأحلام الطفولة وأنشودتنا المكسورة وحديقتنا المهجورة، ونحلم بالعودة لأجمل العهود الطوباوية، ويعود معنا نبض الوطن كهديل الحمام على ساحات المسجد الأموي، وفوق الشلالات الاستوائية البعيدة، لتصفو دنيا الحيارى الذين ثكلتهم رياح الاولغاركية والدمينون وحوافر الجياد اللعينة على صدر الأرض السمراء.

4

الليل المحدودب بالأرق الأزرق يحمل رفاة أحلامنا الذهبية، والنهار المسجوع بالزحام يلملم بقايا حطامنا بالأذية، وأجنحة عشقنا الجميلة تمتد كالسراب والخرافة، والشموس القديمة تتناثر في لهيب دمائنا كالرعود، وقطارات الوعود ونظل نرتدي دموع اليراعات الحزينة. وقلوبنا تمتطي أجنحة الذكريات العتيدة ولهاث النجوم المرصعة بالحنين ودفء الكلام، ونظل نحلم حتى نغفو كعصفور أرهقته ثرثرة الرياح. وسنظل نحلم ونبحث عنك يا وطنا في تجاعيد البرق، وفي رمال الصحراء، وفي حروف الورود، وعروش الياسمين، وفي فقاقيع الماء، وفي شقشقة الأطياف، وفي شرفات المساء، وفي أغنيات الصبايا الرائعات.

سنظل نحلم يا وطني. يا أحلى سر مقدس. يا أروع دفء في مسامات حزننا، وأشواقنا، وانتمائنا للحب، والمطر، وجوهر الإنسان.

**نحن والقاع**

**الصورة الأولى**

سمعناها في شقشقة العصافير، وشعاع الصباح، كالخرافة العنيدة والأساطير القدسية البعيدة. سمعناها في أمواج البحر الهادرة بشجي وفتون. سمعناها في حفيف الشجر، وفي جوف دموع الشعراء، وفي عبق الزغاريد القرمزية المنقوشة تمثالا على مسامات قوس قزح، وفي أحلامنا السرمدية.

سمعناها في أنغام الوتر، وقيثارة الصباح، وفي رعشة الانتماء الكبيرة. هي وطن مليء بالأشجان البضة والدعابات الرقيقة والألحان الدافئة والأحزان الغامضة والدموع الرمادية والشموع الباردة والرأفة والحنان. لمحناها في الأفق البعيد كالقداس والابتهالات العميقة. سمعناها في تضاريس الأحلام النبيلة ترتدي فستانا من أغنيات وأناشيد وقبلات وتأملات بلون فرحتنا وبكائنا المر.

سألنا عنها أرواح أجدادنا، ودموع أحفادنا، وأحلام أندادنا، ونبضات قلوب أهل بلادنا. سألنا عنها بعشق وفتون كي لا نبكي على ظلالها وحيدين، تثكلنا في جوفها بنات الأناشيد وتنحتنا على محياها نافورة للرياحين والمطر. قالوا من هي أيها الخرافيون المحزونون؟ فبكيناها حتى شممنا رائحتها عند شروقها، فأدركنا جميعا أننا نعشق الشمس كما هي، لا نحتاج لجنرال لئيم، ولا لأئمة جدد يحبسون أنفاس الخريطة، ويعهرون كل حروف الأبجدية بسفور ويمزقون كبد الحقيقة. سمعناها كما هي، فمن هي؟

**الصورة الأخرى**

مدينة الذكريات تجري في دمائنا سرا بلا خنجر ولا بارود، تشتهي بنات الرياح والمطر والعناق وطقوس جغرافيا الشجون ولغة العيون دون عتاب. وعندما كنا صغارا، استمتعنا بجراحنا لأننا نحس بأننا نتألم، وكلما تألمنا أحسسنا أننا موجودون، وفي أعماقنا تلاشت شموع للدفء وبهجة المكان، وتفجرت ينابيع للدموع في قاع أرواحنا الصابرة، وتحت وسادة شمسنا البكر الافتراضية ولد الشعراء بدمائهم وشقائهم، لترقص ورائهم كل المدن الحزينة شلالات من التياع وجنون، تهادن نبضات أرواحنا ولذة الأحلام وقناديل المكان.

وأنا وأصحابي ملوك للعشق، ورحيق للأبجدية الأولى نثق في رائحة المطر دون شروط وهوية، لنكتب أنشودة الزحام على محراب قصائدنا العجيبة، لنعلن دولة الياسمين العجيبة على باحات حكاياتنا القديمة، ونولد من جديد قصة ونشيدا للمجد والأحلام وجزيرة بطعم الدفء ولؤلؤ الكلام.

**الصورة الحزينة**

كنا يوما ما نحن والشمس والمطر، نحن والناموس والبقر، نحن والسماء وأنياب الدهر، نحن والجنرال والقدر، نترسب في قاع الخريطة لتخترقنا كل الأحلام المقرفة. نكون أئمة مرة بلغة الجبابرة العظام، ومرة أخرى نكون أشياء مبهمة فوق المستحيلات. نبكي ليبكي معنا كل اللئام والأغبياء، ونضحك لنجبر كل الباكين على الانحناء. فمن نحن يا ترى؟

**الصورة المجهولة**

كل الدفاتر لم تعد تسعنا، وكل سجلات المدن لم تعد تثق فينا، وكل السفن والمراكب تشتهينا لنسافر معها بعيدا بعيدا. إلى أين؟ لا ندري نحن ورباننا. غير أننا جياع مسكونون بالحزن العميق والألم. لاجئون بحجم أحزاننا، بلون أوطاننا، بهمس إنساننا، تظللنا خيام الملاجئ، ورياح الشتاء، ولهيب الصيف الحارق طول الحياة. فمن نحن يا ترى؟

**ايقاعات يوم على الرمال**

لقد كنت انا الابن الخامس فى اخوتى الثمانية من هم سته اولاد وبنتان لقد توفيت اختى البنت التى تلى اخى الاكبر اى البكر فقط سمعت بها من ابى و والدتى ولم اراها قط فى حياتى ولا توجد لها صورة , كنت اذكر اسمها دائما وكلما لمحت امراة اسأل امى هل اختى تشبه هذه المراة ؟ . وكنت كثير الالحاح و الاستكشاف , امى لم تفارق خيالى يوما ما فهى حنونة جدا كنا نلتف حولها نسمع لها قبل النوم وايضا فى الصباح الباكر قبل ان نتناول شاى الحليب صباحا وهى تترنم بشكل وبهمهمة لقد منحتنا شلالات الاناشيد وسقتنا ترنيمة النور و الاحلام وكتبت على جباها انتم ابنائى الرائعون الملهمون .

وطبعا انا بطبعى لقد كنت هادئا كثيرا فى حياتى , لا احب الشجار مع رفاقى , كنت استمتع بالأحاجى و القصص الخرافية , و احفظ منها كثيرا , وكنت اجمع رفاقى حولى و نتسامر بها فى الليالى الدافئة تحت ضوء القمر ومنظر النجوم التى تطرز السماء الصافية , نعم لن انسى اننى ولدت هنالك وراء الغيوم بعيدا بعيدا بين السنة الرياح الرخوة وظلال اشجار المانجو الحنينة حيث ترقد بلدتى مليط بشمال اقليم دارفور واشعة الشمس الدافئة تتسرب على صدر بلدتى الجميلة الخلابة المحاطة بالتلال الرملية الساحرة و المسيجة بشكل طبيعى بالسلاسل الجبلية الزرقاء الرائعة و المطرزة بالوديان الموسمية الرملية الحالمة و على اطرافها تتناثر الاكواخ القديمة الهادئة كـالاهرامات الفرعونية تحفها اشجار النخيل المثمرة ومزارع الذرة الواسعة وشجيرات الصمغ الشوكية والفواكهة البرية الحامضة , وفى الافق ترفرف الطيور البيضاء الجميلة فى اسراب خرافية متواصله لا تنقطع على مد البصر عبر التلال الرميلة والسلاسل الجبلية المتعرجة .

وفى موسم الخريف تحمل النسمات الهادئة رائحة مطر السافنا كعطر الاميرات الاسطوريات , وانا ورفاقى الصغار نغنى انشودة الشكر و الامل المعطرة بالاحلام و الأمان الطوباوى , نلعب تحت زخات المطر الدافئ دفئ طفولتنا البريئة نستنشق النسمات الرقيقة المنعشة , وننسج الشبكات الصغيرة للصيد المصنوعة من سبيب الخيل التى ترعى فى اعلى جرف الوادى , انا ورفاقى نتسكع بأستمتاع نصطاد الحمام البرى و عصافير الزرزور و الطيور المهاجرة وسط برك الماء المتقطعة على احشاء الوادى ونتسلق الاشجار المثمرة , و خلف جروف الوادى البعيدة ينساب صوت النسوة القرويات يترنمن باحلى الاغانى الريفية و عند الظهيرة تسير قوافل البدو تشق الوادى محملة بالاغراض و الامتعة نستوقفهم بشكل فضولى نسألهم عن اسمائهم وعن اسماء الابل والجمال التى تسير فى طوابير وكم ثمن البضائع ؟

ولماذا لا يرتدون البناطلين ؟ . ولماذا يلفون وجوهم بالعمامة بشكل مختلف عن بقية الناس ؟.

نتبعهم حتى يختفو من عيوننا , وعند المساء تنحدر الشمس رويدا ريدا قبل المغيب ويكون ظلنا اطول من قامتنا نجرى لنلحق به خلف الاشجار لنجد انفسنا فى حالة عبثية غير منتهية ومن ثم نتقفى اثار الارانب البرية و الغزلان وراء الاشجار و المتشابكة,

وثم نعود عند المساء تجاه البلدة محاذاة لجروف الوادى لنحضر احتفال النسوة يوزعن الطعام البلدى ويتراقصن وينشدن الاغانى

هكذا :

يا قلبى المسافرة فى شعاع قوس قزح

تعال وانسج وشاح لحبيبى الغائب

تعال واكتب انشودة الاحلام بحنان

تعال و ارسم فى قليبى الوشم الخرافى

تعال اوقد شمعة السلام

ونحن نقف فى طابور متعرج نتراقص بمزاح وفرح نقلد اغنيات النسوة وندرب انفسنا على الرقص الرجولى وسط طابور النساء فى حلبه الرقص ونحن ما زلنا صغار فى مشهد جذاب مشحون بالحيوية و الدعابة و المرونة وعدم الصرامة ثم نواصل نقلد اغنيات النسوة بحماسة و رغبة و نتفاعل مع حرارة الانشودة و نرد

يا امى العزيزة لك مليون سلام

يا نجمة السماء اللماعة لك اجمل وسام

يا قطرة الندى الابد ية

اسقينا احلى رحيق الاحلام

يا امى العظيمة

علمينا كيف نكتب اغنياتنا بعطر الكلام

و الشمس تدنو رويدا رويدا نحو المغيب و يحل الظلام . وعلى اطراف البلدة, من وراء الحظائر البلدية نسمع الشياه وشقشقة العصافير بأستعجال ثم نعود نركض نحو البلدة بعد ما نحس بالجوع يسخن بطوننا لنهم بنتاول وجبة العشاء و نتأهب بعد العشاء لنتلتقى فى ساحات البلدة الرئيسية لنتسامر و نقيم مباريات الشعر و الركض فى الظلام والبحث عن اشياء بمثابة الكنز نقوم بقذفها بعيدا ونتوزع للبحث عنها ونقسم انفسنا فريقين كل قسم يحب ان ينجح قبل الفريق الاخر ونصطف فى حلبة نغنى ونرقص ونحكى الفكاهة حتى يخلد اهل البلدة للنوم ثم نعود بهدوء ليبدأ يوم اخر مليئ بالحيوية والنشاط الحركه و المغامرة الممتعه .,

**رمشة من الماضى**

فى الصباح الباكر ببلدتى الجميلة مليط بشمال دارفور المغسولة بالفرح وبخور القصائد , تصيح الديوك البلدية ببداية بزوغ فجر يوم جديد مليئ السرور و الروعة حيث يتحرك اهل البلدة بنشاط وحيوية , اذ ان الاهالى يتحركون نحو جروف الوادى لتفقد مزارعهم خاصة مزارع الذرة التى يكثر الاهتمام بها لانها الغذاء الرئيسى للسكان علما ان بان هنالك مزارع للبصل و البامية و الطمام و معظم الخضروات و الفواكه فى اسفل الوادى.

وانا انهض مبكرا كى اساعد اخى الاكبر فى فتح حظيرة الشياه ليحلب لبن الاغنام واحدة تلو الاخرى وبعد الانتهاء من عملية الحلب ومساعدة الحملان الصغيرة على الرضاعة , ثم نقدموا للشياه العشب و الماء الذى نجهزه لها من الليل .

 وفى الناحية الاخرى للمنزل يطل المطبخ المتواضع المبنى من الحطب والمسيج والمعروش ببقايا عيدان وقصب الذرة وحبال السعف المصنوعة من جريد شجر النخيل حيث تجلس والدتى توقد الفحم النباتى و احيانا نار حطب شجر السدر و شجر الكتر الجبلى لتقوم بغلى الحليب و تحضير الشاى , اذ اننى كنت لا اعرف الغاز الخاص بالطهى او الطبخ بالكهرباء والطاقة الشمسية وقتها حتى سافر ابى لليبيا البلد النفطى الغنى المجاور لأقليم دارفور حيث احضر معه بوتوغاز صغير للطهى ولا نستعمله كثيرا الا فى حالات الاستعجال او الطوارئ , وكنت احب الحليب الذى له نكهة الحريق خاصة المغلى فى الاوانى الفخارية وكنت لا اكتفى بكوب واحد بل اكثر منه .

و اضافة لغاز الطهى قد احضر ابى معه راديو متوسط الحجم ماركة ناشونال يابانى الصنع يبدو لى وقد كان يسمع به اخى الكبير اذاعة ام درمان وهئية الاذاعة البريطانية بى بى سى وقد احضر ابى معه ايضا جهاز تلفزيون على ما اعتقد انه مقاس 21 بوصة شاشة بيضاء غير ملونة ماركة جى فى سى وقد حاول اخى و رفاقه وخالى وابناء اعمامى واصدقائهم تشغيله ببطاريات احدى الشاحنات التى تبرع بها ابن خالى سلفية للتشغيل فقط .

. وقد تجمهر كل اطفال الحى والنساء و الشيوخ و الاصحاء و المعاقين حتى العميانين لانه حدث هام كى يشاهدوا ويسمعوا التلفزيون وقتها وقد كنت انا ورفاقى الصغار نقف على الباب نخبر كل من نراه بالحدث ونجرى بفرح ونصيح انه سيتكلم .... سيتكلم.... سيتكلم..... سيتكلم .... سيغنى ......... سيغنى بعد قليل وان داخله ناس يغنوا حسب ما سمعنا وكنا نجرى و ننظر للتلفزيون هل تكلم ام لا لكن اشارات الارسال غير موجودة ولا توجد شبكه ثم نخرج مسرعين للخارج لنخبر اى انسان ان التلفزيون سيتكلم بعد قيليل , ويبدو ان الجميع ينتظروا فى تلك الليلة لكن الارسال كان مشوش جدا جدا والجميع يبحلقون مندهشون للصورة المنملة التى تتحدث رغم رداة الارسال فانهم مستمتعون فى قمة الدهشة و التعجب , هذه جزء من قصة البتوغاز و التلفزيون .

 حيث مازال الوقت صباحا فكل افراد الاسرة يجلسون لتناول الشاى مع الحليب علما باننا نحن الاطفال الصغار لا يسمح لنا بتناول الشاى الصافى او القهوة فقط نشرب الحليب وبعض قطع الزلابية ورقائق الكسرى المجففة المصنوعة من الذرة البلدية و احيانا دقيق القمح المستورد , وبعد تناول الشاى و الفطور انطلق انا و ابناء عمى وابناء الجيران و نقوم بجمع كل الاغنام و الماعز وبعض البقرات ونجهز الحمير و الطعام والسكر و الملح و عيدان الكبريت لايقاد النار عند الحوجة لها وننطلق نحو الوادى محاذاة للجبال نسوق قطيع الاغنام وفى هذه الرحلة لم ننسى ان نصطحب معنا كلب ابن الجيران لاننا سنحتاج للكلب عند الظهيرة وقت قيلولة الارانب و الغزلان عندما تسخن حرارة الشمس لان الصيد من هواية الصبية وقتها , اضافة لصيد الطيور خاصة عندما نقترب من السهول والاودية الصغيرة المنحدرة من الجبال حيث تبيض طيور الحبارى فننسج لها شرك اذ اننا نقوم بدفن احدنا نحن الاطفال فى عش طائر الحبارى الكبيرة ونغطيه بالعشب حول العش ونغارد نترقب وبسرعة فائقة تعود الحبارى ليقوم الطفل المختبئ فى العش بالقبض على الحبارى ونسرع نحو رفيقنا لاننا نخاف ان تكون الحبارى من ذات الوزن الثقيل وتطير برفيقنا . وعندما ننجح بالصيد نقف بسرور وفرح يغنى احدنا و يردد معه الصبية بشكل جميل وجذاب :

الخريف هدية السماء لنا

 والمطر عطرنا الابدى

الاغنيات روحنا التى تنبض بالحنان

و الحب هو غذائنا المملوح بنسمة الطبيعة

و السهول الجميلة سجادة احلامنا الدافئة

غدا سنكبر وسنكون اباء واجداد

 الحياة رائعة يا رفاق

نحن هنا... نحن هنا ... نحن هنا..

ونستمر نغنى ونرقص نسير فى رمال الوادى نسير ببطء وتسكع نقطف الثمار ونملأ جيوبنا ونتجه نحو الجبل نصعد لأعلى رويدا رويدا لتبدو مناظر الارض من اعلى بعيدة وجميلة خضراء و الاودية و الشجيرات متدلية نحو الاسفل وتبدو مناظر الشياه البيضاء نتخيلها صغير مثل الفراشات ومنظر السحب على السماء شيئ رائع فوق الخيال يا لها من لحظات جميلة لا تصدق ...

والنسمات تهب رطبة وناعمة ومنعشة وتبدأ قطرات المطر تتساقط ونفكر بالنزول من الجبل لجمع الشياه والحمير و الامتعة و البقرات وعبور ضفة الوادى قبل ان يمتلئ بالماء ويحجزنا الفيضان وراء الضفة بعيدا من البلدة .

**عنوان مجهول**

فى الايام القديمة البعيدة كبعد المكان تلفنى ذكرياتى بلا وشم وبلا حقائب و بلا اقلام استطرد كل خيول قصائدى و كل قطارات احلامى وخفقات سهادى العنيد اتوسد بقيا عزلتى بوحشة و سكون بصمت يكسونى الملل و الرتابة ولم اعد جزء من نصوص انتمائى للورد و الرياحين و لم اعشق فى سرى حيث المطر فى قلبى توقف فجاءة كأنى لم اولد بعد ’ جزء من همسات الايام المليئة بشبح المغامرة و الصمود و التجلى و الفضول المستمر و حيث اكون او لا اكون بعد ما انهيت دراستى الجامعية فى القانون بالعاصمة الليبية طرابلس كنت وجلا اتمشى اتفقد كل العناوين البعيدة و الخبرات العميقة اتقفى اثر الاشياء ارنو لأعلى لا ارقص فى دائرة الخوف فقررت ان اواصل دراستى العليا فى القانون وقبل الالتحاق بالعمل فى مجال القانون كنت مهتما بمواصلة البحث و التنقيب عن المصير و الهجرة وراء البحار لأكمال الدراسات العليا و شاءا الظروف ان اقوم بمراسلة عنوان احدى المؤسسات بمدينة سدنى بأستراليا القارة المحظوظة كما كنت اعتقد و كما سمعت عنها فى كثير من اخبار المارة و الرحالة و المغامرون وكنت افكر و اهم بسداد نفقات الدراسة و السفر الى ما وراء البحار و التى ستكون مرهقة لحد لم اعد احتمله و بما ان الدراسة ستكون باللغة الانجليزية لم اكن قلقا لانى لدى المام بها و قد قرات كتابات آلان بتون و شكسبير و برنادشو فى الادب الانجليزى و اعتقدت ان رائحة المغامرة و المتاعب و الحياة الملوكية هى مزيج للخبرات لكن الحياة فى استراليا قد لا تختلف لشاب يافع من افريقيا تعود على الغوص فى الرمال و الرماد و الوحل و تسلق الجبال و اللعب فى الترع الراكدة و المغامرة فى الادغال هى تجربة كافية كى لا ادخر الكباء ليوم الغربة المرتقبة و لم اكن اتخيل كيف تكون استرالياو ماهيتها فقد ارسل لى القبول الجامعى من معهد لدراسة اللغات و الادارة على ما اعتقد انه شمال مدينة سدنى و فى وقتها لم اعرف عن مدينة سدنى الكثير سواء انها مدينة استرالية بعيدة تخترن فى جوفها رائحة الاوقانيوس و تاريخ سكان استراليا الاصليون الابيروجونيز و الحياة الجديدة فى اقصى الكرة الارضية و لكن المؤسسة التى كانت تقوم بتنسق عمليات قبول الطلاب الاجانب خاصة القادمين من افريقيا و الشرق الاوسط تتففن بتجميل الحياة و تشجيع القادمين بالمزايا الجميلة و الروعة المنقطعة النظير و السعادة الابدية و الدفئ المتكامل فقد ارسلت لى خطابات تحدد مواعيد الدراسة و الحياة الجامعية بفخامتها و تواضعها و السكن الجامعى و الاجراءات الادارية و لمحات عن تاريخ استراليا و الطقس الرائع و البيئة المتميزة و المتفردة و المدن النظيفة المرتبة الجميلة و الراقية و مثاليتها وخاصة مدينة سدنى العاصمة التجارية ومن اشهر معالمها مبنى الاوبرا هاوس بشكله الهندسى المجنح الملفت للنظرحيث هنا قمة فنون العمارة و المناظر السياحية و الحيوانات البرية خاصة شعار استراليا حيوان الكنغرو الذى اراه فى الصورة وهو واقف على رجليه يحمل ابنه على جراب بطنه بحكمة بالغة و محيرة و هذه فطرة الاشياء هذه قصة قديمة مرت واصبحت من الماضى لكنها لم تدفن بفشلها ولم تغمر بتراكم الايام و الاشهر حولها و انما هدات فى ثبات عميق .

وبمان ان التاريخ يعيد نفسه شاءات الظروف ان اواصل دراساتى العليا فى مكان غير الذى سكبت فيه ماء عيونى و رسمت فيه بهو اغنياتى و عانقت فيه شكل المطر الخرافى و فى الوقت الذى سكنت فيه اشرعة رحلتى نحو الارض الجديدة فى اقاصى اطراف العالم حطت بى رحال الايام ان لا اتخلى عن خوض غمار السياسة فى بلدى السودان و اكتب فى الادب الشعر و القصص واهتماتى بالكتابة و العمل فى مجال حقوق الانسان وهذا سبب لى المتعب المؤلمة و حرمنى دفئ الايام الجميلة و حال بينى وبين البقاء مع عائلتى بامن وسلام و قد افتقدت اهلى كثيرا و غادرت بلدى مجبرا اتحسر و ابكى فى سرى من اعماقى انزف بحرقة اعاتب البشر و الشجر اخاطب البحر و السماء اتحدى صقيع الشتاء و قساوة الاحلام و هلوسة الليالى المعتمة و مرارة التشرد و التسول فى قاع الخريطة انظر عبر ثقب كلماتى لكل المدن الخرافية و لكل الجزر الساخنة و لكل الاعلام الممزقة و لكل الحيطان و الجدران الصلبة كل شيئ امامى هو لوحة بلا منافس حتى رائحة الدموع وضوء الشموع و الصلوات و الخشوع و حتى ظلى من حولى رهيب ان يبقى بلا ملامح لابد ان يرحل وقد وحطت بى الرحال بالقارة الاوربية بمملكة بلجيكا و لم اكن ادرى الكثير عنها و استقر بى المقام بمدينة بروكسل العاصمة الجميلة التى سكنت فى اعصابى و رسمت فى جوفى بعض كلمات البقاء و الصمود و التضحيات و عدم الانطفاء و شاءت المشيئة ان و ازور بعض المدن البلجيكة فى شمال وجنوب بلجيكا فى زيارات خاطفة ولمناطق محددة زيارة اصدقاء او معارف او مشاركة فى ندوة او منشط ثقافى ثم اعود لغرفتى الصغيرة ببروكسل اتوسد امتعتى و افكر فى المجهول بلا انقطاع لكن هذه المرة جاءت الدعوة و المشاركة مع منظمة اتحاد الكتاب البلجيكيين الناطقيين بالهولندية المعروفة بالقلم الفلمانى او بين فلاندر و استضافتى بشقة رائعة وجميلة و منظمة و مرتبة فى الدور الثانى باشرع بروكسل بمدينة انتويربن عاصمة اقليم الفلاندر الناطق بالهولندية و قبل ان ارى الشقة كنت اجلس بمقهى رويال على المحطة القطار الرئيسية المعروفة بالسنرتال استيشن و معى صديقى الدكتور محمد الغريانى مصرى هولندى الجنسية و قد كنت على موعد المنسق صديقى الرائع سفين ومعه والده كان يحاكينى مرة بالفرنسية بلطف و ادب عال و مرة بالهولندية و مرة اخرى باللغة الانجليزية اذ ان السيد سيفن يعمل استاذ للغة الهولندية لتلعيم المهاجرين و هو صحفى و نحن فى محطة القطار قبل ان نتمتطى سيارة والده لفت انتباهى اننا سرنا عبر الممر الممتد بكشل مميز اعلى محطة القطار حيث ان المدخل باعلى المحطة هو يؤدى لمحلات الالماس الشهيرة التى يملكها اليهود بالمدينة و هذه المرة الاولى لى ارى محلات تجارة الالماس اعلى المحطة وعند وصولنا للمصعد الكهربائى الخلفى كانت يد والد المنسق سيفان تشير لى على اليمين هذه حديقة الحيوان الرئيسية و كنت اتجاذب معه اطراف الحديث و تحركنا نحو جنوب المدينة على ما يبدو لى اذا لم اكن فقدت مؤشرات الاتجاهات حيث شقت السيارة طريقها بتأنى وروية وغير مسرعة كنت اجول بخاطرى نحو الشمال و الجنوب مرة تلو الاخرى اتفحص معالم المدينة و لقد لفت انتباهى ان هذه الميدنة نظيفة ومرتبة و تبدو حتى وصلنا لمقر اقامتى بشارع بروكسل الواقع بمدينة انتويربن بالقرب من مبنى المحكمة الجديدة و قد صعدنا حتى وصلنا للشقة مكان الاقامة وبعد ان اكملنا اجراءات السكن و التسليم و التسلم تركنى سيفنى و غادر ليلتقى بعائلته و حيث جلست وحدى انظر عبر النافذة فأذا بى اجد نفسى اتخيل ان منظر المحكمة امامى هو يشبه ذاك المنظر القديم لمبنى اوبيرا هاوس الشهير بمدينة سيدنى الاسترالية التى سكنت فى ذاكرتى منذ مدة و بما اننى درست القانون انظر للمحكمة عبر النافذة فهل انا يا ترى فى غرفتى ام على شاطر البحر اتأمل الشكل الهندسى لمبنى المحكمة الجيدة ليبدو احيانا مثل السفينة الراسية على الميناء تترقب المسافرون للملاحة فى رحلة بحرية ممتعة تقود و هنا مرة اخرى اجد نفسى بمدينة انتويربن المياء القديم الذى منه غادرت افواج من البشر للارض الجديدة و قد زرت الحوض المخصص لبعض السفن و المشهور بحوض بونابورت نسبة لبناء فى عهد نابيلون وها هى الذاكرة لم تتوه ما بين سدنى و انتويربن لتدق ناقوس للذكرى و الايام الماضية و تظل المدينة عامرة و بحركتها و الاضواء و رائحة المطر و اصوات النوارس و طيور البحر التى لم تغادر بعد ,

**مدينة الشجن السرى**

فى طرقات المدينة العامرة بالمقاهى المتراصة الانيقة تتسرب اشعة الشمس الهادئة ’ و الغيم الرمادى يكسو السماء الزرقاء ’ و زخات المطر الدافئة تتناثر مثل حبات البلور الملكى الفاخرة ’ و بريق الاضواء اللامعة على المداخل مثل الجواهر ’ و اصوات النساء الحسناوات بملابسهن الانيقة وشعرهن الذهبى الاشقر الجذاب يتلألئ و يتماوج بجاذبية رائعة ويتدلى كشلالات الذهب ’ و العيون الزرقاء الواسعة والفاتنة تأثر المكان بحلاوتها و دفئها المريح و فتونها ’ حيث تمتد الجماليات و الروعة و يجلسن برومانسية و اريحية و استرخاء منعش على زوايا المقاهى النظيفة المزدحمة نوعا ما ’ و تنساب السمفونيات الهادئة و الموسيقى الكلاسيكية الناعمة ’ و تتعرج الطرقات و الازقة النظيفة لتلوح مشاهد المطاعم المرتبة باتقان تتوزع حولها الطاولات المزينة بالشموع الملونة و الشراشف البيضاء و الحمرا و الاكواب المرصوصة بشكل منسق ينبئ عن رومانسية المكان و صبغته السياحية و الفخامة الواضحة ’ و المزهريات تتوسطها الورود المشكلة و المنسقة ببراعة ’ حيث مجموعات و فود السواح يلتقطون الصور التذكارية من حولها التماثيل و النصب التذكارى الشهير لقصة مدينة انتويربن ’ اذ ان القائد الفارس يحمل اليد و يلوح بها ناحية البحر حيث الاسطورة الشهيرة و التى تمجد فارس المدينة وقهره لقائد العصابة القرصان فى منظر يمثل تاريخ المدينة الساحر و تعاقب الاحداث من واقع التاريخ المشهود .

 و يبدو ان البحر هو هبة المدينة ’ بينما يتقدم السواح و امامهم مرشد سياحى خبير فى المدينة يتحدث باهتمام و يشرح بحنكة ’ بينما ينصت له السواح كانهم يشتنشقون عبق رائحة الماضى و رياحين القرون الاولى والمارة من حولهم يتحدثون بلغة هولندية سريعة وبلهجة لم تكن كما هى تقرأ بالشكل المألوف و على الجانب الاخر حول الكاتدرائية العملاقة ذات الزخارف المعمارية النادرة و التاريخية المنقوشة بالذهب تبدو ذات سحر و جمال خلاب و عمق حيث الازقة الضيقة بطرازها المعمارى القديم تتعرج تشقها خطوط الترام الكهربائى المنفردة و تتعرج وسط المدينة و المقاهى تحفها باتقان و اللافتات مكتوبة بالغة الهولندية بشكل فنى رائع , و بينما انا اجلس و انتظر قليلا اتناول كوب من الحليب الساخن فى مقهى دى انجيل الشهير وسط مركز المدينة ’ اتجول بنظراتى المندهشة اتفحص المارة بحماس و اتخيل المناظر من حولى حيث اسافر بعيدا فى قاع المدينة و جوفها العميق , و استنطيق حوريات البحر الرائعة لتبدو فى طوابير طويلة ترفرف فى الافق على السنة الشاطئ المتعرج تقتات و ترشف قبلة الحنان و ألق الروح من الزمن البعيد قصة ونشيد تتوسط اخبار المدينة التى ارهقها القرصان بأتاواته المملة و الشريرة بينما وهج البطولة يبدو فى ملامح تمثال الفارس العملاق بنشوة تتخطى الاسطورة و حجم القصة و التاريخ من قداسة، و حقا المغامرة ترسم صورة للماضى التليد و الصمود الرائع و التجلى الكبير مثل نوافير المطر الدافئ التى يمتلأ بها نبض مدينة انتويربن وخيوط البقاء المستمر و الحياة الحيوية النشطة حيث تبدو تعرجات الحكايات نسيج متسلسل حيث ظلت احوض السفن التى تحمل المهاجرون للارض الجديدة ومئات الالاف من عابرى البحر يتوسدون احلامهم يشقون عباب الامواج نحو الارض الجديدة فى رحلة بعيدة مليئة بالمغامرة و البحث عن الذات و المصير بينما المدينة هنا صامدة تتوكأ بسكون و صمود جذاب وفى اعماق سراديبها تحمل فى جوفها كل عناد الماضى لحونا جميلة وعباءة للبقاء . وفي الذاكرة شيئ من نبض الحاضر و الماضى و تجليات المستقبل و كأن الأفق الواسع وردة قرمزية تتموسق عبر السهول الفلاندرية الخضراء، و ارصفة الميناء لا تخفئ ماضيها و عراقتها و انا اقف مع صديقى سفين بيتر الكاتب و معلم اللغة الهولندية للكبار و الغير ناطيقين بها نتامل المدينة من قمة متحف ماس لتبدو كل لحظات الحاضر و الماضى ببريق الاسطورة حكاية اخرى جميلة نستكشف منها شكل المدينة من اعلى مثل شلالات الأحلام الوارفة فى كتب الرحالة . وفى كل محطة توجد رقصة للتأملات العميقة و القصائد الخرافية ونسمات الحقول الجميلة تتسرب عبر القنال المتعرج و القرى الهادئة تتوسد السهول الخضراء الممتدة على مد البصر و الأرياف الانيقة الوديعة تغنى بلطف وفرح كل شيء نشيد مطرز بالأغنيات المشرقة و الكرنفالات و الالعاب الضوئية، ورائحة المطر المنعشة . ، ونسمات الساحل الملبدة بنكهة الملح تجعل من طائر النورس الابيض و الرمادى يخفق فى اسراب كالاعلام ترفرف فى الافق الواسع و البحر يمتد مع خفقات النوارس و النسمات الخريفية الباردة نوعا ما .

 وانا ارتدى بعض الملابس الواقية للبرد و النسمة التى تهب من جوف القنال و انظر نحو اسداف مدينة انتويربن اسافر بنظراتى عميقا استكشف اجنحة المدينة و صدرها العامر و اتمرجح اتتبع وميض المدينة و صدى الأغنيات المتموجة بمواعيد الاحتفالات و الكرنفالات المنتشرة فى ارجاء المدينة و الساحات العامة و رقصات الاوبيرا و البالى الرشيقة و تبدو الحياة هنا تتراقص بأستمتاع مثل ذكريات الرحالة. و شجون الخريف وسحر المكان وقناديل و البلور المدهش .

ومن حولنا مجموعات السواح و افواج الزوار يعتلون سطح متحف الماس كأنهم يغازلون النجوم بقبلات الأمل وشموع الحنين والنشوة العميقة وعلى حنايا السطح تترسب خفقات الشعاع الطويلة الملبدة بالغيم والأحلام البعيدة كاللوحات البرونزية القديمة.

ونحن فى الافق الشاسع نتنسم عبق المطر تبللنا زخاته وريدا رويدا بكشل سريالي خلف نافورة الأشواق و التاملات و النظرات العميقة خلف القنال و الضفة الاخرى . حكـــــــايات طويلة بلون العناد والصبر المهيب تنازعنا فى روعتها ودهشتها و سحرها الخلاب كأننا امام نوافير من الشموع و الاضواء السائلة تفيض و تملأ كل المساحات و الميادين الفسيحة يا لها من لحظات مهيبة و موغلة فى الروح و القلب,

والشجون المترعة بالذكريات البعيدة و دهشة المنظر تغسل عروقنا وتنضح بدهشة التآملات وبسر المكان وخلايا الزمن الاهليجي التى يتكون فى حنايا المدينة العامرة . وفي الأفق العنيد ترسمنا الاشياء القديمة كالقصائد البلورية المعتقة بالبخور و برائحة الإكسير، وتنسج في أعصابنا وشاحا من أناشيد و روعة .

وفى الزاوية الاخرى يبدو متحف الادب الهولندى الفلاندرى ليست بعيدا حيث تجتمع الرومانسية و الواقيعة و السريالية و الانطباعية و الكلاسيكية والتجريدية كلها ببيت الادب قرابة مائتى عام من التواصل الروحى و الوجدانى العالى ايغالا فى النفس و تفردا و غوصا فى جواهر الادب و القصائد الجميلة و الكتابات العميقة هذا الخيط من التواصل قادنى لرحلة البحث فى متون الحروف و النصوص البراقة و الاسماء الخالدة التى كتبت نفسها بثقافة عالية و انتماء جذاب و الكلمات و الوجوه هنا على باحة المدينة تتشكل وتتماوج بروعة فى شكلها تبدو مسكونة وموشمة و مغسولة بالنسمات الأبدية مثل مصابيح وقناديل السماء المرمرية الحالمة السيمفونية العجيبة ذات لوعة وفتون، وفى قمة جمالها ، وهنالك خلف الشواطئ الجميلة، ترقد عيون القرى الهادئة المرصوفة بأتقان ، وسط أحضان ساحاتها ابتسامات الأحلام . تتسرب لأحضان الأرض الواسعة، ومن حولها النغمات العذبة، منقوشة بالفرح السري و ممزوجة بالعشق الخرافى والمطر المتعش .

ونبضات القنال الجميلة تغازل ترنيمة السهول الفلاندرية السندسية الساحرة ، وأنشودة المساء تتوارى رويدا رويدا، لترتوي معها أجفان الشمس الملبدة بالغيوم الآسر.

وهنالك بين اعماق الروح و القمة، تطفو المشاعر الطيبة اليانعة و افواج المهاجرون القادمون من وراء البحار البعيدة و الارصفة المسكونة بالصبر الطويل و الصحارى الشاسعة و الغابات الاستوائية المطيرة يشكلون لوحة متفردة من ملامح المدينة ، تتدفق بروعة وشجى، وتحتضن الأحلام المموسقة الشجية في الأفق البعيد. هكذا قلت فى نفسى قف وتأمل ولو سرا على شكل قلب المدينة العامرة وحافتها عند الغروب، واشرب من رحيق دفئها و جمالها الأمل ينابيع من نور وفتون وشوق وخفقات،

و حركة الحافلات و الترامات الكهربائية تطوف ذهابا ومجئيا تربط اصقاع المدينة بقلبها و ملامح جميع البشر فيها تبدو قصة مثل أرجوحة اللقاء، تطوف عيون الأحبة، تنسج عشقا رائعا يحمل على ثناياه خرافة المكان وأبجدية الأمواج لتشيد الجمال الانسانى الراقى و المتفرد حقا

**القصة عنيدة أيتها الأرض السمراء**

الشفق المهيب نثر أغنياته كالنسمات الأبدية على نبض دمائنا الحارة، والسماء المرمرية المدهشة مدت قناديلها السيمفونية العجيبة بوسوسة ولوعة وفتون، وفى قمة انتمائنا تشع الأرض السمراء المرصعة بالزنبق ورموش الياسمين، ترتدي همس الأطياف العبق، ومن حولها زغاريد الأبجدية الخلابة، تتمرجح كالأساطير البابلية، تنادم وشوشات الرياحين الناعمة، وغنج أميرات الشرق.

وهنالك خلف الشواطئ الجميلة، ترقد عيون القرى الهادئة، وسط أحضان الجبال الزرق وعلى محياها ابتسامات الأحلام والشموع. بغبطة وخشوع تتسرب لأحضان الأرض الواسعة، تغرس جنة من حروف وأناشيد بشغف وفتون، ومن حولها عصافير المرايا تدفق الحنان والألحان الناعمة العذبة، تلاطف نهود العذارى، وتلاطم نسمات الفرح السري الممزوجة بالعشق والمطر.

ونبضات الأرض السمراء تغازل ترنيمة الوادي السندسي الساحر بكبرياء وهناء، وأنشودة المساء تتوارى رويدا رويدا، لترتوي معها أجفان الشمس الملبدة بالغيوم السعجدى الآسر.

وهنالك بين الأعماق والقمة، تترنح اللحظات اليانعة، تتدفق بروعة وشجى، وتحتضن الأحلام المموسقة الشجية في الأفق البعيد. آه، والأفق عصفور من رحيق الذكريات، امتلأ جوفه بموسيقى الدفء الرائعة والتأملات.

آه يا قلبي المسافر دوما في حنايا الأناشيد السمراء، قف وتأمل ولو سرا على حافة الغروب، واشرب من رحيق الأمل ينابيع من نور وفتون وشوق وخفقات، وارسم خطوات الدموع والشموس قلبا رحبا طال ركضه في بساتين البلسم والرحيق الرحبة، وارشف قبلات الحنين نجوما بطعم القصائد المنعشة، وارتوى من شفاه قوس قزح كهمس الأكاليل السلطانية والعناق العميق، وتمدد على صدر السماء لترضع لبن الشجون ودهشة المنظر، وقف كالشمعة الجميلة لتبدو الحياة سرا جميلا ولونا جميلا ونبض جميلا وأملا جميلا وحلما جميلا وعناقا جميلا.

تلك هي أحلامنا عند أرجوحة اللقاء، تطوف عيون الأحبة، تنسج عشقا رائعا يحمل على ثناياه خرافة المكان وأبجدية الأمواج لتشيد معها قصورا من أنفاس براعم الورد الغضة، ومن حولها يطوف طائر السعادة يتلو قصيدة الغرام السرمدي على بلاط أفراحنا لتذوب على محياها كل ثلوج الغربة والكآبة، ولتتفتح على أهدابها ضلوع المسافات العجيبة، وتنحت من خفقات القلب نافورة من أريج وبخور يعطر خيمة المساء ويعبق أجنحة الشعاع المليء بالرحلات العنيدة والصبابة.

آه أيتها الأرض المعطاء، هنالك تلوح ضفائر رحلاتنا السرية مثل كوكب من أناشيد ونغمات وأشرعة وزوارق تصفق على الشواطئ النضيرة، تناديها مرافئ الشجن والحنين. أيتها الأرض اكشفي لنا عن أسرار القلب الواعد بالهمس والأحلام، وارشفي معنا الأمل من جديد ترنيمة من ينابيع دافئة أدمنت الشوق والشبق البض والأغاني البلورية الرخوة وانفخي معنا الأنفاس الدافئة المنعشة لتكشفي لنا عن سهاد طويل ورنين الأنوثة المقدسة في قاع الذكريات وعمق الحكايات. هنالك تصفو جدلية المكان وتتلألآ صورة جميلة مثل كل الحور العين والحسان.

قفي يا أنت وعانقينا ولو سرا كي نسمع رنين الأعماق في سكينة، وتناجينا أهداب العيون المرصوفة بدموع البهجة، وداعبي نبض دمائنا وومض بسماتنا الرقيقة الشفافة كالمرايا الوضاءة على الوجهة الحالم، فيا أبهى حلم بين أشرعة المسافات يتفرهد ويشع من بين أساور الفرح الساحرة، القصة طويلة، القصة عنيدة تلوح كأذرع ناعمة تلف أحضان الأرض بحنان وحرارة، والأرض السمراء في دمائنا قصيدة جميلة قصيدة للأمل والأحلام والعناق والتأملات، وخريطة من نور بلون محاريبنا، وترنيمة في منارة الشهداء وقبلات عفيفة تملأ قاع السماء، وزغاريد رقيقة تشعل الحياة أغنيات ودعابة بالدهشة والسلام والأمن.

تلك الحكاية هي الأرض السمراء، وعلى صدرها ينام كل شيء جميل تتغذى منه أرواحنا إلى أن نلتقي يا حبيبتي الخرافية، يا عشقي الكبير، بقناديل الياسمين والبخور ،تحفنا أحلامنا الأولى، وأغنياتنا الواعدة وعروساتنا الجميلات.

**حلم العنقاء البدوية**

=1=

الكلمات تتوهج كالقناديل السحرية عندما انظر إلى عينيك بلا انقطاع، كالمطر الاستوائي يروي غابات الأبنوس بغبطة وسرور، فأولد بين يديك رجلا مستحيلا بحجم أرخبيل العسل والأحلام وصدى الرياح، وأتجلى قديسا وشاعرا من زمن خرافي، وأتوج نفسي ملكا على حروف الورد، وكل القصائد المهاجرة على مسارات رمشة عيونك، ومدن النور والبلور والياسمين ورمال الصحراء، موشحا بكل لغات العالم شرقا وغربا.

وأنت احلى من كل أناشيد الشجن القديم، وقبلات الوادع الدافئة، وابتسامة الموعد المدهش، وروحي العنيدة ترنو إليك، وتتراقص كالأمواج الإهليجية تتلاطم في سماوات خيال المكان، وتسافر بي التأملات سرا وجهرا على مد البصر كطائر بحري يرفرف بلا انقطاع ضل طريقه لجروف الحرير البعيدة، وتخوم الأرض السمراء.

لم تعد كل الشواطئ القديمة سوى نقاط في قصيدة انتمائي للمطر، لم تكتمل رقصاتها ومخاض صباحها تعثر في ليل طويل، طويل، طويل، سجنته المواويل والأشجان والغربة الشاحبة المغسولة بزيت الدموع الرمادية، وشهقات شتاء فبراير.

آه، ثم آه، يا سلمى الرائعة؛ يا قنديل جبال الألب السويسرية، ويا ريحانة بروكسل الساحرة، ويا جوهرة المدن الأوروبية المدهشة، ويا عصفورتي العاشقة لتلال الصحراء الذهبية وأغنيات الواحات السندسية ونكهة الأمل الكبير.

دعيني أرسمك لوحة جميلة تتوسد الشعاع على تلال الصحراء الكبرى امتدادا من جبال الأطلسي الزرقاء وحتى تخوم السافانا الخضراء، تستنشقين رائحة النيل بخورا للحياة، وأنت كطائر العنقاء قادمة من وراء البحار ومعك كل الأسرار المفرحة، ترفرفين بتجل وحبور وتفردين جناحيك البضين مع قوافل الابل المسافرة عبر أخدود الواحات النضيرة، وشجيرات النخيل الخلابة ورعة المشهد المهيب، ويصير حلمك بدويا وأسطوريا، فأتذكر في سري أبي وطفولتي تسكبني شلالات من الذكريات الخالدة وتكسوني وهجا جميلا كالبركان من الأعماق ينبت وردا ناعما مسقيا بالأشواق، وعطر أغنياتك وصوتك الجذاب.

وأنت حورية الصحراء الفاتنة تعصرين كبد أنشودتي خمرا وعسلا مصفى، ويصير معك الصمت مرآتي لقصائدي الجديدة، وروحي المموسقة باللوعة والحنان والنشوة والدهشة، فأجد فيك الابتسامة البدوية قاموسا نادر التكرار على مشارف المدن الأوروبية .

واشم فيك نكهة النخيل وسحر الواحات ودفء الروح في كل الحدود البعيدة واهتف معك لا اعترف بحدود دولة تمنع حلمك البدوي يتدفق نهرا مثل العطر الباريسي، وينساب كالنور والوهج والحرير الإمبراطوري .

=2=

هناك عبر تلال الصحراء الذهبية المتعرجة بإتقان على مد البصر، سكنت روحك حلما جميلا يتراقص بومض دمعات الشوق والدهشة والسرور مثل الفراشات تداعب الزهر الموشح بالندى في منظر ساحر خلاب، تتلألئين كوميض الفيروز والألماس النادر، والشمس الذهبية تسبح على السماء الفضية الصافية ترسمك تحفة أروع من سجادة الورد العملاقة بغراند بلاس في ربيع بروكسل.

يكسو وجنتيك الأسطوريتين رونق وشكل برونزي خرافي الملامح، ملكي التكوين، والريح الهادئة تلف خصلات شعرك الذهبي المياس كشلالات الحرير السمرقندي الناعمة، والحياة هناك افج مفتوح للفرح والرقص المنعش والغناء الموشم على جدار القلب شمعة تضئ ليالي السمر.

نظراتك الحنونة مكحلة بليلة قمرية يملأها البدر جمالا ووضاءة، فما أجملك حين اكتب فيك قصيدتي وأشعاري، وأنت فيها البدر الكامل تنيرين مسارات القوافل الراحلة عبر الوهاد وواد النخل!

تلك هي كلمات لوحدها تفسر كتاب الرحلة وصدى التأملات والخيال الشيق وهمس موطن القبيلة. سيظل الحلم البدوي نافورة رحيق تعطر حبات الرمل والأنامل البضة ورموش العيون الدافئة .

=3=

كنا هناك في مطعم التاج البروكسلي، نجلس أمام المرآة السحرية، نكون دلتا لنهر الشوق وانا ابحث عن عنتر وسيرة ليلى وباقي أفراد القبيلة، اجمع حروف الأبجدية من بريق ابتساماتك الملهمة لتصير وطنا بديلا للغربة الأليمة، ونهرا مقدسا يغسل خطايا الحزن والشجون الكبيرة. وعيناك تنبت مليون غصن زيتون سرا وجهرا، وانا أمامك أكون عطرا ورحيقا وتمثالا ومطرا شتويا، وروعة الكلام تسكبني أمواج من عسل ابدي المزاج.

آه، آه. هل سأظل أقول آه كي تنطفئ الشموع الحزينة، أم أتلوى كي احلب النجوم وأسقيها برحيق القلب ونكهة شجر الإكسير، واسبح معها في حوض البنفسج نقضي معا الألاف السنوات الضوئية في رحلة التجلي والتأملات والوهج العنيد؟

**الرقم 17**

دائما اجلس فى غرفتى الصغيرة الواقعة بشارع سانت الفونس ببلدية سانجوس بمدينة بروكسل بالقرب من محطة مترو مادو مافسة دقيقتين مشيا على الاقدام و تطل على شارع بورتاجى وتقع فى الزاويا فى الطابق الاولى على شكل مخروطى و تفوح برائحة الطعام و البصل المغلى و رائحة الملابس فى وقت واحد و ينتابنى شعور اننى اسكن فى مطبخ او مخزن قديم لذا كل زائر يأتينى قبل ان يعلق على منظر الغرفة وشكل الستائر الكلاسيكسة الانيقة الملونة بالاحمر و الاصفر التى قمت بتفصليها بنفسى وتركيبها على الجدران تتدلى عبر النوافذ ابادر بالاعتذار عن ضيق المساحة واقوم باحراق البخور السودانى و اعواد الصندل ظنا منى انى أتخلص من رائحة الطعام و افتح الستائر وانظر عبر النافذة للناس المارة بالشارع وحركة السيارات و فجأءة رفعت رأسى و نظراتى للبرج الزجاجى العالى ذو اللون البنى امامى يفصل بيننا شارع بورتاجى فأذا بى تذكرت و تخيلت نفسى و انا فى اواسط اغسطس عام 2013 ترجع بى الذاكرة للوراء لاواسط شهر يوليو 2009 كان الجو معتدلا لم يكن ساخنا مثل الصيف فى افريقيا اذ اننى كنت امام محطة القطارات ببروكسل شمال حيث ينتشرعدد من طالبئ اللجوء والحيارى ومن حولهم حركة القطارات وسيارات الاجرة والمسافرين بملابسهم الانيقة يعج بهم المكان وانا واقف فى حيرة من امرى مشتت النظرات التفت يمينا وشمالا افكر واتأمل انظر للابراج الزجاجية العالية حيث يقع مقر ادارة الهجرة والاجانب التابع لوزارة الداخلية داخل البرج زى اللون البنى ك ىيفتح ابوابه وعند السابعة والنصف صباحا وقفنا فى طابور طويل واحد تلو الاخر امام مدخل الباب 59 فى صف طويل بأشكال والوان مختلفة نساء ورجال واطفال مع عائلاتهم يبدو عليهم الارهاق و الخوف و التوجس و الاحباط ننتظر الدخول لطلب اللجوء وعند المدخل اصطف عدد من الحراس يقومون باعمال التفتيش والتأمين وتفحص هويات كل الناس الموجودين على الصف و جنسياتهم حيث تم توزيع علينا بطاقات تحمل ارقام فقط لانها كما يبدو هى اسمائنا الجديدة التى لا ندرى عنها شيئ سوى انها ارقام وفى الدقائق الاولى فقد تذكرت اذ اننى فى يوم من الايام رقم معلوم لنفسى ولمن حولى لكن الان وفى لحظة ما من مسار الحياة و الهجرة و الخوف المستمر اصبحت مجرد رقم من الارقام النكره التى لم تعد لها مكان حتى فى كشكول الحساب و الضرب و الجمع و الطرح والناس على الصف من حولى يتدافعون واحد تلو الاخر بتوجس نزحف كالسلاحف ببؤس نجر بعض الامتعة البائسة حتى وصلنا للصالة الواسعة داخل المبنى الزجاجى البنى اللون العالى وجلسنا بهدوء واندهاش وتوجس لتكتمل مناداتنا لداخل المكاتب لتسجيل بياناتنا الاولية ونحن على الانتظار, اذ بىشردت بعيدا مع افكارى فتذكرت منظرالسافانا الساحرة اذ ان الطيور هنالك لها اسماء وليست ارقام والسماء لاتخبئ النجوم رغم كثرتها ولمعانها الا انها لا تحمل ارقام ولاتضل عن احد و المطر بعطره ونكهته يتسرب الى اعماق روحى دافئا ورائحة الارض الممبلة بالاحلام تتراقص بالامل تحت اقدامى كالدمعة القديمة تمتزج بأغنية البهاء وسمفونية للوفاء والتخيلات . هنالك سكرت بأحلى الأناشيد المنقوشة بالابتسامة القديمة وملامح القرى البعيدة الهادئة تتماوج فى خيالى قبل ان تحترق برائحة الخوف والحزن والالم والرقصاتا لريفية كرنفال للحياة. وتحت حبات الرملا لمغسول بالاحلام والامل تبقى للروح بقية للابتسامة من الاعماق ، الشمعة ذات الضوء الخافت بدموعها الناعمة لاتقاوم الرياح تنطفئ بهدوء ليشع نور القمر بروعة واصوات الصراصير و الضفادع و بعض الثعالب البرية و دحاج الوادى البرى تأتى من داخل الاحراش بأنسياب محير...

و منظر الحقول والبراري البعيدة يأسرنى حيث المكان ، وأطفال القرى المرحون يوقدون ألف شمعة وسط الطريق. ببطء والخريف ينام فى عيون الجميع.

تلك رائحة الأمس فى اسداف السافنا ، حيث تبيض الشمس عسلا وأنوارا من لبن و رحيق ، وتتمرجح على حبال النيل الذهبية ، والجبال الزرق المحفوفة الدخان ، والغابات الخضراء المسكونة بالأمان ، والأنامل السمراء المنقوشة بالحنان . آه . وآه . كل شئ فى ذاكرة القرية البعيدة النائمة على ضفاف مهجتي يختزن لون الشمس ورائحة الأبنوس بتجل و حبور و صدى الأنغام ينساب دافئا فى قرى دارفور البعيدة، ا لمعروشة بالرمال والصبر و التضحيات والسهول المبرقعة بالرصاص. ما اتعس لحن التشرد فى قاع الخريطة وأكوام الرمال الثقيلة ! ومااحلى النوم على الأرصفة عندما تغنى عصفورتنا البيضاء بعيداعن الجدران ! ليس لنا الآن مزمار نغنى به. آه . القصة طويلة ، تتلوى فى ضلوعنا ، والكلمات سافرت عبر موكب الخريف ورائحة المطر وأطفال القرية مازالوا يتعلمون الحرف الأبجدى على ظلال أشجار المانجو و الباباى و الدليب . كل أغنية هنا قصة و ألف نشيد . وفجاءة جاءت الموظفة الشقراء الحسناء تتمرجح كشلالات السبلوقة ونادت على الرقم الذى احمله الرقم 17 على ما اعتقد وقتها بسرعة كدت ان انسى امتعتى التى احملها معى فى كيس بلاستيكى صغير فنهضت اركض نحوها و ارفع يدى و اقول لها نعم ...نعم.. انا هنا و ادركت انى اسمى الجديد هو ذا وتبعتها دون ان التفت يمينا او شمال كنت مركزا معها بكل ما املك لداخل المكتب و جلست امامها و فتحت جهاز الحاسب الالى اى اللابتوب و بدأت تسألنى هل تتحدث الفرنسية فقولت لها لا اعرف باللغة الانجيزية و خاطبتنى باللغة الانجليزية ما اسمك و ما اسم ابيك وما اسم جدك ومن اى بلد انت ومتى حضرت الى هنا و ماهو تاريخ و مكان ميلادك وما اللغات التى تتحدثها فأجبتها اتحدث العربية و الانجليزية ثم القتطت منى صورة بكمرا رقمية اى كمرا ديجتال متحركة واعطتنى دليل معلومات اللجوء مكتوب باللغة العربية و الانجليزية و بيانات اخرى باللغة الهولندية و الفرنسية التى لا افهمهما وقتها ومعها تذكرة لتناول حساء من الشوربة بعد الساعة 12 ظهرا و مع قطعة خبزة وكوب من الشاى والقهوة ثم اشارت لى بالخروج و انتظرت بهدوء التفت يمينا و شمالا فى الصالة مع بقية طالبئ اللجوء كل منهم يحمل ورقة ورقمه و منهم من ينتظر و يسأل ماذا فعلت هل من جديد وبعد ساعة تقريبا اصبحت لدينا اسماء فاذا بموظف اخر اصلع الرأس طويل القامة نحيف نوعا ما يرتدى منطلون جنز و فلينة تشيرت قصيرة الاكمام لايبدو عليه انه شرطى يحمل مجموعة من الاوراق المبعثرة و بدأ يتلو فى الاسماء بطريقة فرنسية او هولندية لانى ادرى و قتها ما هى اللكنة الفرنسية او الهولندية و لا افرق بينهما اصلا و اول مرة فى حياتى اسمع باللكنة الهولندية عند حضورى لبلجيكا داخل هذا المبنى رغم اننى التقيت بالسفير الهولندى لدى الكميرون بدولة تشاد القريبة من اقليم دارفور فى فترة من فترات حياتى و ايضا بالسكرتير الاول لسفارة هولندا بالسودان لكنى كنت اتحدث معهم باللغة الانجليزية . ونحن داخل صالة الانتظار تجمع حوالى عشرين الى خمسة عشرة فرد تقريبا و اشار لنا وتبعناه بالممر بين المكاتب حتى و صلنا للغرفة المخصصة للبصمات و جلسنا و اذا بثلاثة افراد يقفون امام ثلاثة اجهزة تبصيم الكترونى و بدوأ ينادون الاسماء واحدا تلو الاخر وتم تبصيمنا اصبع تلو الاخر ومن ثم كل اصابع الكف ومن ثم اليد الاخرى ثم انصرفنا وعند نصف النهار خرجنا لتناول حساء الشوربة و تناول الشاى و القهوة داخل احدى الكنائيس بشارع انفيرس بالقرب من مبنى ادارة الهجرة و فى داخل الكنيسة توجد ملابس قديمة توزع على اللاجئين و احذية مستعملة و هنالك موظفة تساعد و تشرح قوانيين اللجوء و الهجرة و العلاج و المحامى و حقوق هؤلاء الوافدين الجدد ونظام الحياة و الادارة فى بلجيكا و تسمع لشكاوى و تساؤلات اللاجئون وقد عرفتها لاحقا انها كانت تتبع لمنظمة فليختن ويرك فلاندر اى منظمة العمل مع اللاجئين وبعدها بساعة تقريبا رجعنا للمبنى الزجاجى البنى لأكمال الاجراءات الاخرى حيث تم استدعائنا لداخل غرفة للكشف الطبى و تم اخذ صورة اشعة للصدر بعد ثم خرجنا لصالة الانتظار وعند الثالثة ظهرا خرجت موظفة اخرى تتلو الاسماء فاذا بها تنادينى بأسمى وليست رقم وسلمتنى ورقة مثبت عليها صورتى مكتوب عليها بياناتى تعرف بالملف 26 واعطتنى معه رسالة من الوكالة الفدرالية لأسكان طالبئ اللجوء موجهة لمركز استقبال اللاجئون بمنطقة سان بيير ببروكسل بالقرب من محطة مترو بيتليون ومعها تذكرة مترو و خريطة تشير فى اتجاه المترو رقم 5 المتجة الى منطقة هيرمان ديبروا و خرجت من المبنى لتبدأ قصة اخرى ويوم اخر مثير

و بما انى خرجت من المبنى فاذا بى اجد نفسى لا اعرف شيئ فى الخريطة التى احملها و انتظرت قليلا انظر يمينا وشمالا بحيرة و بسرعة كنت اسأل جميع طالبئ اللجوء من حولى اين هذا العنوان وكيف الوصول فاذا بهم محتاورن مثلى يلتفتون يمينا و شمالا فأذا بى عدت مرة اخرى لداخل المبنى و تحدث باللغة الانجليزية مع الموظفة مرة اخرى اننى لا اعرف ما معنى هذه الخريطة فأذا بها فتاة نشطة جميلة طويلة القامة عيونها تتلألئ من الجمال و كانت لطيفة لى حد كبير و يتماوج شعرها بروعة فخرجت معى وبعض اللاجئون الحيارى و وقفنا معها امام الباب الرئيسى الذى يطل على شارع انتويربن او شوسى ديى انفيرس و اشارت لنا ان نذهب مباشرة نحو الطريق المؤدى لمحطة مترو الانفاق باتجاه محطة ايزير و سلكت الطريق امشى بسرعة و احيانا اركض و التفت حتى لا اضيع ملامح الشارع يمينا وشمالا و قطعت مسافة 600 متر تقريبا حتى و صلت للمترو و كدت اركب بالاتجاه المعاكس بعد ان ارشدنى رجل افريقى عجوز يتوكأ على عصا يرتدى قبعة كاب و جاكيت صيفى و نظارات و ركبت المترو متجاها نحو العنوان المثبت بالخريطة و كانت هذه المرة الثانية فى حياتى اركب مترو الانفاق اذ ان المرة الاولى كانت فى القاهرة عندما كنت فى زيارة لعدة ايام و بما ان كنت متجها نحو مركز اللاجئين المؤقت هو عنوانى الاول و الجديد ببلجكيا كان لى لابد ان اكون حذرا و متنبها حتى لا اتوه و كنت احسب المحطات واحدة تلو الاخرى و اراجعها على الخريطة التى احملها و عندما وصلت لمحطة النزول الظروساعدتنى الظروف ان اخرج بالباب الخلفى لمحطة المترو و بدأت ابحث عن العنوان و اسأل المارة على الطريق فكل احد يقول انه لا يعرف فأصبت بالقلق و قلت فى نفسى كيف هؤلاء هم يعيشون فى بلادهم اوربيون و لا يعرفون فيا ترى كيف اذن انا القادم من افريقيا هذه الليلة ضعت عن العنوان فأضطررت للعودة مرة للرصيف الذى نزلت عليه داخل محطة المترو و اتتبع السهم على الخريطة و ثم خرجت بالباب الاخر و ذهبت التفت امشى و اقف و اسأل حتى و جدت الشارع المؤدى للمركز المؤقت التابع للوكالة الفيدرالية لأسكان طالبى اللجوء المعروفة بالفيدازيل و عندما و صلت للباب نقرت على الجرس و فتح الموظف الباب وقدمت له الورقة التى احملها معى و سجل اسمى و صرف لى معجون و ادوات حلاقة و صابون ومن ثم اصطحبنى لغرفة متوسطة الحجم بها ثلاثة سرائر منها سريرين دبل سرير فوق سرير و هنالك سرير اخر مفرد اذ ان مجموع الاماكن المتوفرة فى الغرفة مخصصة لتسع خمسة افراد , و اذا بى جلست فى احد السرائر و وضعت كيس الامتعة الذى احمله و استلقيت فى نوم عميق حتى اجد انسان يقف من فوقى و يوقظنى و يقول هل تناولت و جبهة العشاء و اذا به احد الرفاق ساكنى الغرفة من الهند و هنالك اخر يقف بجنبه يبدو ان من دولة كازخستان و نهضت للعشاء لأجد على الصالة عدد من الوجوه التى التقيتها بمكتب ادارة الهجرة و بدأنا نتجاذب الحديث و اذا بى احسن هذا هو مجتمعى الجديد و ظللت انظر للبرج العالى البنى بشارع بورتاجى امام شبابك غرفتى الصغيرة اسافر سرا فى خيالى و ذكرياتى اولد من جديد مع نبض الحروف و الاحداث تلفنى بشكل درامى و الكلمات المدفونة فى الاعماق جزء من سمفونيات يومياتى القديمة و الحالية و المناظر القديمة هى حياة لها ايقاع خاص يعزف بلا مواعيد و بلا حواجز للبقاء و الحياة ,

**وهج الفانتازيا**

أنت رائعة مثل وهج الفنتازيا المغسولة برحيق الشجن ودموع الأغاني البدوية.

أنت جميلة جميلة مثل محراب الشعراء المنقوش بأريج مليون قبلة استوائية، وسط الوحل تتدفق عسلا بطعم الهوية وخرافة المشهد العميق.

أنت حلوة كرائحة مطر السافانا المدهش تعانق الأحلام الخفية وشلالات الذكريات الوردية وخفقات نسمات الأرخبيل الدافئ. فى جوف أنشودتي تردد احلى اسم ونشيد بدعابة.

دعيني استوقفك بسكون رغم الزحام رويدا رويدا خلف شواطئ النيل البعيد واقرأ على شفتيك قداسة المكان وأتبخر وأذوب كتمثال الجليد أمام عينيك الدافئة، دفء مشاعري ودمائي وأسألك "من أنت؟" حين أذكرك في سري وانحناءات قوس قزح، وحين استنشقك بلسما في ضوء الصباح، وحين اشتهيك كالمرايا، لا تملها نظراتي الطويلة.

اطل من حولك، اتخفى بين اشرعه قواربي مدمنا منظر غابة التفاح فيك.

أي لون أنت عندما تتلاشى الألوان في عالم البنفسج الخلاب، المحفور قصائد للابد، تتلألأ كمراجيح دولة الياسمين وكاتدرائيات همس الأناشيد المسقية برعشة الشوق؟

أي لغة أنت في كوكب الشموع و القبلات ودلتاوات انتمائنا للمطر الاستوائي وقاموس الدموع؟

وأى سماء أنت حين تظللنا السماء بالنجوم وألق الأحلام ورنين رحلاتنا الطويلة بمقياس رسم يتحدى تضاريس الخريطة؟

أي صوت أنت في سمفونيات حزني وأرقي وفرحي؟

آه، دعيني أتأملك دون مواعيد وبطاقات هوية تحدد إقامة حروف أبجدية أغنياتي على منارات صدرك العالي، الممشوق بالقوافي الفاتنة ومتعة الدهشة، كسحر إمبراطوريات الرومان العامرة بفاكهة غصونك، ونوافير البخور وإكسير شجوني، وطلاسم استسلامي على نكهة ميلاد شغفي الندي.

من أنت حينما أقاتل الرياح والأمواج باسمك سرا وعلانية على باحات مدنى السرية، والف حولك مشتعلا كالأسطورة الهندية، وارسم صورتك على صدري في الليل الهادئ، وانقش نبرات صوتك الرخيم وشما يحمل انتمائي لقبيلة مزاجك السريالي؟

آه يا روحي المدفونة برماد الوداع ونوافير الشجن وغازات الرحيق على مد البصر والأفق المعروش بغمزات الغمام!

وما زالت القصة طويلة بين ضلوعي، تلهث على دربك الممرد بالترانيم والزغاريد وأكاليل العناق، كرحلات العصافير السرمدية في قاع اوقانيوس اللحون العميقة، وسجع ومض عيونك يتسرب على صفحات مهجتي المسكونة بشعاع الغزل الرقيق وخواطر الشوق الأنيق.

آه ثم آه، وأنا ما زلت طفلا يسبح على نهر انتماءاتك لنار الحروف وشبق القصائد ورعشة الأحلام القزحية.

أنا على دربك سأولد من جديد بدون اسم وهوية، اخلط اسمى باسمك واكتب عنواني على كل المرافئ، وفى فقاقيع الماء وزخات مطر الشتاء، وفى رمال الصحراء وفى شوارع المدن البعيدة، وفي دمي ولعب الطفولة وفي أحشاء الحروف البضة، واستنطق ومض العيون المنسوجة بالأرق وبالفتنة.

ومن حولك تظللني الذكريات الرقيقة المعرشة باللهفة، وعبق الحنان، وبطيف المواويل الشجية، كالشلالات الذهبية تتمرجح على قيثارة نبرات صوتك المارد، وهمس شفتيك المليئة بغنج الكلام وسحر الالتياع، وأنا في قاع الغربة الباردة احلم بحوريات الأناشيد، وأنت احلى حورية تسبح في قلبي.

قلبي وحيد كرذاذ المطر الشارد. أتلوى بالوحشة والملل الرهيب، وصهيل الأحلام يطاردني. ادفن جراحي في لب جراحك وأسقيها بدماء قصائدي البكرية، وأنفاس أشواقي الحبلى بصورتك الخرافية، وتنساب في روحي كمرح الصبا وتغاريد الأناشيد الحنينة.

**اغنيات الدموع الشاحبة**

 وقبض اهل بلدى المترعة بالوجوم انفاسهم يتوهون بين الدمعات الشاحبة.. اللاهبة .. و يترقبون صورة الفتاة المهشمة المشوشة التائهة يستنشقون من زفير انفسها الدافئة انحسارت خافتة و ببطء.. و تلون وجهها البرئى كشعاع الغروب و كل شيئ من حولها يرتعش ,,

يرنو اليها يرنو لنظراتها المليئة بالحنان... المليئة بالرأفة ... و السنة المرارة و الألم تلسع جوف كبريائها و مازال الضحى طفلا فى مخليتها لم يذق طعم الفطام بالفرحة لم يذق طعم الهدوء بعد .. حيث ترنيمة القلب الكبير تدنو تتبع ظلها المتشرد قليلا تدنو رويدا.. رويدا على حافة الارصفة , و مناظر الافق المعتمة اغلقت ابوابها نحو الامل لتطل سحابة من الهموم ثقيلة مليئة بالكدر و الذبول و الانكسار... لكن عيناها القدسيتان الفاضلتان تملئان عمق الماضى و الذكريات اروع الاناشيد و تبدو همسات روحها النقية الطاهرة كأغنيات حلوة ترددها مخلوقات ما ورائية الكون, كترنيمة عذبة فى معبد قدسيى لكن فيض الدموع الشاحبة احيانا يحجب عنها ضوء الشمس يلتفها كاهداب الرياح فى كابوس طويل و فى حناياها تنحسر امواج الفرحة و الغبطة المدهشة و يبدو شكل الكآبة غامض مثل غموض كل الارصفة المشبعة بالصيف الحار و الصقيع المؤلم السرى ونكهة الملجئ و بقايا الخيام و العيدان و الاغاثات هل يا ترى سيظل حلمها مخبئ بصمت مريب و سفور لكن هيهات ..هيهات .. و فى عمق الشرود الطويل صار الضحى ليلة مظلمة باردة مثل شتاء الصحراء الجاف و اختفت فى حناياها الابتسامة النبيلة هنيهة ..تلك الابتسامة الزكية كأريج الفردوس الرائعة اختفت فجئة لينطفئ معها حلم الفرحة حلم الامنيات, و من حولها تبدو صورة الاشياء احيانا مثل العفاريت تملأ جوف المعانى الصامدة بصمود هالة المطر الاحمر الذى تسرب فى اعصابها و صوت الرياح الباردة ناقوس اخر يدق فى سرداق المكان انها ليلة حامضة مليئة بالضوضاء و الهلوسة و صهيل الاحلام و احزان الانحسار فى بهو الدموع.. كانت تغنى فى سرها و الصمود فى عيناها اقوى و اعظم وقد كان الصمود اهزوجة جميلة توشوش حول شعرها المياس الرائع و زراعيها الرقيقتان تحتضنان التضحيات و الشموخ ... و شموع النبل تشع من اناملها الغضة يا لها من روعة ابدية يا لها من حلم قدسى يا لها من صورة جميلة اطلت ليشرق معها معنى الحياة رغم تجاعيد الاحزان و اجراس التداعى و التلاشى و الانكسار و مرارة الوجع على جانب الملجئ البائس و برد الليالى المنفرة .. فهى اكبر من الاحزان و الهزيمة اكبر من عواصف الكآبات هى اغنية دافئة رائعة تطوف من حولها عيون الحيارى لتلهمهم تطوف حول دنيا التعساء لتسقيهم سلسبيل الحياة رغم تعكر كل سماوات الامل بالنكد يا لها من اغرودة اينعت فأضاءت قناديل السمو لتزهو زغرودة الحياة بوجودها العظيم .. وكانت ابتساماتها اعظم ..

مشاعرها المرهفة و اللطيفة تختزل فى عمقها كل مساحات البقاء و الصمود رغم الاشلاء وو انا الحزين ومعى كل السكان نتآمل ومض عيونها الشجية لتصفو فى قلوبنا فيثارة الوجود...

نعم هى لن تستجيب لليأس لم تولد الا واغنية الامان ترفرف من حولها رموشها الرائعة رغم رائحة البارود , و حول حاجبيها ترقد صورة مليئة بالجدليات تتوسد رائحة الايام النبيلة و تتذكر دموع الايتام ... و اجاحى الليالى القديمة نعم هى ما زالت تتمدد بتأنى و سكون تجر انفاسها بطيبة و محبة ترنو بعيدا وراء ستار القلب الطيب برزانه و سكون عميق يا لها من فيثارة دافئة مثل صدى اغنيات الجرارى بدافور البعيدة و ايقاعات الحكامات المغنيات الرائعات بسهول الارض السمراء و جروف الوادى البعيد بين غابات السدر و الحراز و اشجار العرد و رائحة ام بقلو و نكهة شجر القضيم و القرقدان يا لها من صفحات موغلة تجتاز بهو المكان و جدلية الاحلام و العشق الخرافى و الشبق الابدى تحت دائرة المطر و شموع الآمل الجميل .

**بكائيات على خط النار**

 فى السنوات العجاف البعيدة مثل بعد التماثيل من الحياة و الحيوية وقفت صورة المراة الملاك المراة اللاشيئ المراة التى هنا و اللا هنا تسترق منى كل اوعية بكائى و حزنى و فرحى و موسم غفواتى و نومى السرى المهلهل بين حنايا الايام الغامضة حيث انشودة الولاء و اللاولاء تتكرر فى ذكرة مدائن الخوف و مدن الدخان و التهميش و التوليف و التدجيين حيث كل شيئ يولد دون مواعيد حتى القصائد اصبحت تخاف سرا وجهرا و يا لها من حالة اللامعقول اندهاش , انكماش . انغلاق , انحسار , تجلى ,اجتياح , سياج و قرية لليأس الاحفورى و الذوبان و ثنائية البقاء .. نعم هى لم تستجيب لليأس .. هى لم تولد نكرة ولم تولد قنديل ياقوت ولم تولد ملاك كى يهلل لها الجميع لم تولد الا و اغنية الامان تتراقص معها بتجلى وحبور وتبدو شفتيها الاسطوريتان الساحرتان تملئان نبض الاستمرار و البقاء حيوية و انسجام انها لمسة نورانية فريدة هى نسمتنا و نسمة الانسانية القديمة و الجديدة هى بلسم كل الحيارى البائسون اللاجئون الذين ساقتهم اقدارهم بكل عناد الى هنالك و الى هنا والى ما وراء الهناك و الهنا ليجدوا ماضيهم و حاضرهم تعلوه ذكرياتهم يا لها من ايقاعات فريدة ... وعلى ظلها يقف الجميع للابحار و الاندياح فى وهج الاشياء يرسمون ملامح الامل تشع من تعرجات الطريق الوعر هى و هم و الجميع هنا و هناك يحترقون لتتكون اضاءة للجميع لكن الدمع اكثر الاوقات هو المشهد الحاضر حتى الشمعة التى تضئ هنا و هناك تدمع ولا احد يسألها ماذا دهاك ياه من هذه الحياة النفط فى بلدى وراء الغابات الخضراء و الجبال الزرق يحترق ليشقى الجميع بحسرة و النفط فى كبد بلادى يحترق ليسعد الجميع للنعمة الجديدة ما هذا البكاء و هذا الاحتراق حيث اننا فى بداية مولدنا كنا نبكى وفى اخر لحظة من يومنا التعيس نشتهى الضحكة لنسعد و تبدأ من جديد اهزوجة الخيالات العنيدة و المرارات البعيدة تطوف خفية تحمل نكهة كل الامهات و انا ومعى هم وهن واولئك جميعا نرفرف كالعصافير الخرافية كالاطياف الوديعة نهمس بلا انقطاع ننشد معزوفتنا سرا و جهرا و هى تبدو لى حلم لجميع الحيارى والسكارى والعذارى و السفالة و الائمة و الامة و الغائبون و التائبون ... و فى قمة الموعد ووقفنا جميعا نشير لقرة الصباح نسترد عافيتنا المسلوبة بأيدنيا و نتهم الناس و الاحباب و الاصحاب بأستياء ون سأل من اوقد النار من اوقد السراج من اهلك الثمار كلنا نترقب نطمح, نجرى, نركض, نقف بسرعة , وبلا استثناء نردد السؤال من اوقد النار من يمارس الاحتضار من ..و من .. نرددها كثير وفى جوف الغابة يستمر الالتهاب معه تصفر وتحمر اسداف البلاد و نحن فى طابور طويل فى سلسلة كبيرة من البشر و الحجر و الهواء و الماء و لم ننتهى حتى من الكباء ...

**رقصات تحت المطر**

 قطرات الماء الدافئة تتجمع رويدا رويدا فى الافق الواسع و تتلاحم بروعة و اتقان لتنسج خيمة مقعرة بلونها الرمادى المائل للقطنى تتمدد فى السماء الزرقاء الصافية , و النسمات الباردة تهب برقة و انسياب فى الحقول البعيدة و السهول الفلاندرية بشمال بلجيكا المنبسطة بخضرتها الناعمة الخلابة و يتسرب معها الهواء الطلق المعتق برائحة الازهار الرية , وفى اتجاه الجنوب تبدو القطارات القادمة بحماسة تتسلل عبر الجبال القديمة و الغابات المتشابكة بأتقان ... ز فى ذاكرة المدينة تلتقى الاحلام , و مازال المسافرون يتوافدون بأشكالهم المتباينة

فمنهم ذو الملامح الاسيوية البائنة التى لا تخطئها عين و العيون المميزة و منهم ذو الملامح الاوروبية ذو العيون الزرقاء و الشعر الاشقر ومنهم ذو الملامح العربية الواضحة و منهم ذو الملامح الافريقية الابنوسية البارزة الموشمة بحرارة السافانا .

و ارتال السيارات تنحنى على الطرقات الواسعة التى غلسها المطر بشيئ من الصبر حيث تتدحرج بسرعة نحو قاع المدينة و تبدو متلاصقة مثل حبات الارز المتناثر فى طوابير على مد البصر و محطات مترو الانفاق مليئة بالازدحام و القادمونو المغادرون لأعمالهم بلباسهم المتناسق و غير المتناسق يحملون على ايديهم حقائب صغيرة وفى يوم مكرر ينتهى ليبدأ اخر مثله.

و وسط هذه المشاهديفتح ساحة قراند بلاس اى الساحة الكبيرة صدرها العامر بالفرح الدهشة للمصورون بكمراتهم الصغيرة وببدلاتهم الواقية للصقيع يلتقطون تذكار من بعضهم البعض وخلفهم صورة القديس ميشيل ومن خلفه تاريخ المدينة الحافلة بالتجارب و الجميع هنا تحت خيمة سماء بروكسل يستنشقون عبق تاريخ المدينة.

و على الركن القصى للمقاهى العتيقة تشرق الشمس بأستحياء تتلفت بسكون تتلمس الطريق نحو الممرات الرقيقة المليئة بالتحف الاثرية و تماثيل الشكولاتة ومن حولهن الفتيات الساحرات الرائعات الجميلات المميزات يعتقن المكان بحلاوة المشهد و فى الجانب القصى للمقاهى الصغيرة تتلاصق المقاعد الوثيرة و المطاعم الفاخرة مرصوفة بأتقان بلونها الاخضر و الاحمر الغامق و تتدلى من حولها الشراشف الحمراء و البيضاء الحريرية والبلور المضئ يزين المكان بلمعانه و مازالت الشمس تنشر اشعتها و تتسلق اسوار المكان تخترق خيمة السحاب الرمادية المقعرة ليبدو الجو ماطرة قليلا مليئ بالروعة ة على الجدران تبدو اشعة الشمس لوحة نادرة منقوشة بزخات المطر .

و على جانب ساحة قراند بلاس الاثرية المدهشة تتراقص الفتيات الرائعات لتلتقطهن الكمرات و هن ينشرن الفرحة و تعلو من فوقهن تماثيل القديس ميشيل و فارس المدينة و الجميع يحفون المكان يستمتعون بضوء الشمس و سمفونيات التاريخ دون مواعيد تحدد لوت عيونهم او دون اغنيات تكتب سرا فى حضرتهم الجميع يغنون فى العلن بضوت واحد و بانغام متعددة و لحون متناسقة و متناغمة وتبدو بروكسل مدينة لكل البشر مفتوحة نحو الحياة و الطبيعة و المشاعر و الحب و الصور الرائعة فالمطر للجميع و الحب للجميع و المدينة اجمل عندما نكتشفها و هى تنبض جمالا و روعة و و صوت القطار يطحن فى السكك الحديدية و مترو النفاق يلملم جناحية و يدخل فى انبوب السرعة و النسمة تتجدد وكل شيئ فى المدينة يتفتح بطريقته وبتألق حتى التماثيل الكبيرة لم تمل الانتظار على الساحات و المسافرون يودعون اقرانهم ويبدأون يوم اخر بينما المهاجرين الجدد يتكئون للأستراحة ثم يستمر المسير نحو معسكرات اللجوء فى الارياف البعيدة يسابقون الزمن لتنقضى قصتهم مع المدينة و الانوار تودع الجميل وهى مضيئة لن تنام رغم شلالات المطر التى تشغلها ليل نهار و توقد خيوط من بلور متواصل بلا انقطاع وتستمر الرقصات تحت المطر نشيد و لوحة لا تنسى

23 .6. 2011 بروكسل

**دموع الأرض السمراء**

(1)

شلالات الأرق الطويل تحملني مجندلا بالأشجان حافي القلب. أتدثر بلهاث جرحي المستحيل، أواري ومض رحلتي المجهولة الشواطئ، والسنة الشجن الخرافي تثقب غشاء كلماتي القزحية المنحوتة تمثالا على صدر الرياح الاهليجية وشلالات الأمل المعبق بالأحلام وقصائد قوس قزح.

وتحت زخات مطر الأحلام المسافرة أفواج، تموء صورة الوطن القديم، في شكل جنائزي حزين، تلتقط أنفاس الشتات بشحوب وغموض من السواحل البعيدة ودموع القرى الساكنة تحت ضوء القمر، الملونة برحيق الحياة السيمفوني الرخيم والضباب المالح.

وهنالك عند اسداف الأرصفة الممتدة داخل البحر المترع بتراجيديا الأشجان ترقد خفقات الشموع، وفي القاع قوس قزح بحجم الدموع يرسمني بحسرة وانكسار كشبق الخريف بعيدا عن أجواء السافانا.

آه، عنوان وطني العنيد قصيدة منسوجة في سفر الحكايات العنيدة بحجم الرياح، والجرح الكبير يتمرجح بفقاقيع الأحلام الجدلية كالسراب يناديني بخفوت، والجزر الرملية الفاتنة المتربعة على رحم البحار العاتية تنازعني هويتي الدافئة وأبجديات قصائدي البدوية وترنيمة بكائي السري الحزين، والصحراء الواسعة أطلس في اضابير بلدي الخرافي.

آه، الأغنيات القديمة في أعماقي تتلوى والذكريات الرائعة المنقوش برحيق السافانا في دمائي، تنتظر الفارين من هنالك، من وهج الأحزان وقتامة المكان ولعاب السجان، بحثا عن رائحة الوطن السرمدي لينتهي بهم المصير المضرج بالفتور والنواح كبؤرة الخسوف المر، كمقصلة التلاشي المنتقاة من مفتاح الخارطة التائه في زحمة المستحلات.

(2)

رحلة الأسماء الموعودة بدفء الأبنوس لم تعد تشفي داء التشرد، والملجأ لم يعد سوى منتدى حزين لداء الكوليرا والتفوئيد. هذه القصة المشرئبة بالنواح. هذه الحكاية المفقودة في كتاب العباقرة الصفوة، أصحاب السياط الجهنمية.

وعلى ذاك الشارع الطويل المعفر الذي حفرته الدبابات والمجنزرات ترقد أشلاء الحيارى ببؤس، يستنزفهم النبلاء الجدد ليوقدوا الحزن والرعب والأسى في خلايا الجرح المترع بالمرارة والألم، المفطوم على محراب الصبابة وقوافي العشق العذري.

آه، مازالت الكلاب الكبيرة ذات القلائد ترقد

**دموع الأبجدية ورائحة السافنا**

هنالك اللوحة أبدية. هنالك القصة طويلة ومنسية. هنالك الدمعة أغنية. هنالك ألف أنشودة بالدموع مسقية. هنالك حليمة، ومريم، وبنات الحلة، بملامح رقصة ريفية. هكذا كانت الأرض السمراء تضم الأحباب. آه، وألف آه. انطفأت شمعة الحياة فى كل العيون بوجوم وسكون لتبدأ من جديد طواحين الألم.

تحت حبات الرمل البرونزي المترع بالذكريات البعيدة، ومع إشراقات مطر التضحيات وابتسامات الشمعة الملبدة بدموعها القديمة الجديدة الناعمة، نعم لقد أسدلت السماء ستارها فى ليل طويل ملقح بالشجون والحنين والصدى، و... و... و...

كل شئ تلاشى تحت وسادة الشمس المسافرة فى قاع البحر، ووراء الأمواج العاتية، وفي الغربة البعيدة وشهقات المهجر الموحش. ضاعت ملامح النشيد فى أطياف أغنية تسربت بعيدا فى رائحة الشلالات المضطربة، بلطف وسكون، وتدثرت بفقاقيع النيل القديم، والرياح الدافئة غمرتنا بالدموع السخية الساخنة، تلك الدموع: دموع النيل الباردة، والمشهد متعرج بالصمت والهجير والدفئ. هنالك فى الذاكرة البعيدة دفئ النيل والتأملات البكر. آه.

منظر رائع ينام فى ذاكرة الحقول والبراري البعيدة، وأطفال القرى المرحون يوقدون ألف شمعة وسط الطريق. ببطء والخريف ينام فى عيون الجميع سنابل وقبلة ممزوجة بشوق الحبيبة الأبدية.

تلك رائحة الأمس المرهف بدعابات الوطن المسرج سرا وجهرا فى اسداف السافنا، حيث تبض الشمس عسلا وأنوارا من لبن ورحيق، وتتمرجح على حبال النيل الذهبية، والجبال الزرق المحفوفة الدخان، والغابات الخضراء المسكونة بالأمان، والأنامل السمراء المنقوشة بالحنان. آه. وآه.

كل شئ فى ذاكرة القرية البعيدة النائمة على ضفاف مهجتي يختزن لون الشمس ورائحة الأبنوس بتجل وحبور وصدى الأنغام ينساب دافئا فى قرى دارفور البعيدة، المعروشة بالرمال والصبر والتضحيات والسهول المبرقعة بالرصاص. ما اتعس لحن التشرد فى قاع الخريطة وأكوام الرمال الثقيلة! وما احلى النوم على الأرصفة عندما تغنى عصفورتنا البيضاء بعيدا عن الجدران! ليس لنا الآن مزمار نغنى به. آه.

القصة طويلة، تتلوى فى ضلوعنا، والكلمات سافرت عبر موكب الخريف ورائحة المطر المجندل صفحة فى سماوات كل عصفور، العصفور خرج من لب الحروف وقاموس الأبجدية، وأطفال القرية ما زالوا يتعلمون الحرف الأبجدى من صدمة البندقة على ظلال أشجار المانجو والباباى والدليب. كل أغنية هنا قصة وألف نشيد. وعندما باضت عصفورتنا على رموش القرى المرهقة المرتعشة كتب فى عمق جراحنا أن هذا اليوم عيد.

نعم القصة طويلة لكنها موعودة بالخريف والمطر والشجون والحنين والسكون والصلوات لجمال اللوحة الأبدية المنقوشة بقبلات حبيباتنا الرائعات. وألف صوت رخيم يتفرهد كالورد فى ذمة العاشقين ودموع الشموع الدافئة العطرة، بذكريات طفولة الموعد نقشت على محرابنا القديم العيد السعيد. نعم الموعد جميل من حيث سافرت الأشياء، ومن حيث ولدت القصائد من رحم القرية الأم. نعم، الأم البعيدة هنالك فى أجواء السافنا، وقداسة الوطن الجديد. نعم، الجديد بحفاوة المشهد.

لقد تعلمنا الغناء مثلما ولدنا يوما موشحين بالبكاء. هى صرخة الحياة. ولنا موعد مع رائحة المطر فى السافنا وفى الجروف البعيدة وفى السهول المحفورة فى نبض كلماتنا و(رائحة الدعاش). هى القصة التى كتبت برموش جداتنا فى ميثاق الشرف. هى القبلة التى منحننا إياها حبيباتنا خبزة نـقتات منها قصائدنا المسافرة دوما فى القاع وغربتنا البعيدة بين الجدران.

كل شئ اليوم فى مدن بلادى الضبابية مسجل فى دفتر السافنا بقساوة المشهد. لم نتعود الوحل تحت طين الأبجدية وشطحات اليائسين، ولم نتوسل أحدا بصلواتنا ليهدينا بهجة العيد وقبلة الفرحة وطعم النشيد. لم نولد صغارا بحجم الخيانة، ولم نولد جنرالات كبارا لنعكر أغنيات القرية بالبارود والسياط المسمومة. القصة طويلة. القصة حزينة. القصة رائعة، لأنها تغنى بصمود، لأنها تحلم بالخريف والحب والسكون والفرحة وبالنشيد. إنها تتموسق من جديد نسمة باردة فى قمة هجير الصيف. مازلنا نحلم برائحة المطر وصبر أهل القرى الطويل. والحلم ما زال نبضا يسقى هذا العمر المديد. فى الحقول الواسعة الخضراء فى الجبال الرائعة ودهشة المنظر. والحلم جميل. مثل الخريف هنالك فى السافنا.

فى دارفور البعيدة. البعيدة. البعيدة. انتهى شكل الزمن لوحة مكسورة وحكايات مهجورة بكل اللغات والألوان والأشجان. وبكى الحالمون المسافرون دوما على ظلال مدينتنا الخرساء المسرجة بالسراب، والموشحة بالدخان الشاحب، والدموع المثقوبة بالألم والذكريات المبرقعة براحة البارود، وأنات الجياع المتضورين على هامش الحروف يتفيأون بالصمت والحسرات العميقة، ينتظرون قطار الأطياف القادمة من شكل الزمن الاهليجى، ووهج الابجدية من وراء السراديب.

والليل الموحش اغلق أبوابه تحت سجع النجوم البعيدة الملبدة بالدموع، الملبدة بسهاد الجراح المسكونة بالصقيع. والرياح الممشوقة برائحة الغربة تتقفى آثار النظرات التائه وسط جبال الضباب الوعرة. وهدير البحر الهائج من أعماقه يخترق ذاكرة الأحلام، والناس هنالك على السفوح والسهول الواسعة يرحلون. يبكون. يتمازجون. يرتعدون. يصمتون. ينتظرون صلوات المتضرعين. وكل شئ هنالك موعود بالفرحة والخرافة. نعم، وكل شئ هنالك لعق مرارة المشهد وبؤس الأناشيد وتجرع الأحزان من جديد.

وصمتت القرى المتناثرة على السفح وعلى السهول الواسعة التي لم ترتو سوى من رائحة البارود والسنة الحريق وهتافات المفجوعين. والخارطة مشوهة هذا المساء بلعاب الكلاب المسعورة ودماء الهامش المفجورة.

البئر لم تعد تسقى سوى نعاج السلطان. وحزن المكان. القصة طويلة قرأتها بالمجان. كل شئ على الهامش يبكى. وكل شئ تحت حذاء السلطان محفور داخله إنسان. و... و... المشهد طويل والحزن كبير والقتل هنالك دعوة ونفير. و... و... و...

**أنشودة الأبنوس الدافئة وثلوج الشمال**

السهول الواسعة المعطرة بالدماء الدافئة والممتدة على مد البصر بسطت اذرعها وصدرها برفق وحنان بنشوة دافئة، وتأملات عميقة، تداعب المسافرين في ذاكرة الرحلة الطويلة، وزخات المطر المتناثرة المنعشة، رسمت في الأفق لوحة متشابكة، كغابات الأبنوس المنسوجة بنعومة وتجلى، تستنشق رائحة دموع السافنا.

ترشف قبلات الأبنوس المتراقص وعبق الأطياف القديمة واشراقات السهول الخضراء البكر، والنسمات الريفية الهادئة تكنس رائحة أطياف الثلج القديم بعيدا، بعيدا، وقتامة الغربة المرهقة الشاحبة أضحت معلقة على جدران المسافة المثقوبة بالدموع والعناء وعلى ثنايا المحطات المهشمة بالأنين والسهاد الطويل وصخب القطارات الطويلة المتسربة في أعماق أطياف الليالي الثقيلة ووسط واحات الجليد وصقيع الشمال البارد.

والطيور المهاجرة المسكونة برائحة الخريف والسافنا وشبق الأبنوس هنالك أفردت أجنحتها في السماء، تطوق قوس قزح في رحلة الأحلام البعيدة والشمس الملبدة بالغمام، أغمضت عينيها باستحياء وأسدلت رموشها برفق. كأنها لم تكن، واطل قرنها كمعشوقة يائسة من زمن بعيد في عمق السراديب تترقب فارس الأحلام القادم من وراء الضباب، من حكايات وأساطير العصر الأول.

كل شيء هنالك مسكون بالغربة الباردة والذكريات الملتهبة، مسكون برائحة القراصنة، والبحر، مسكون بالتيارات الباردة المقوسة. كل شيء هنالك حاف، عار، جائع، يائس، محطم، مبرقع، مشتاق بنصف روح ليس له طعم.

كل شيء هنالك مكتوب لحن بارد في الأغنيات الكسولة، وفي قاع الخريطة تنام مدن بعيدة وقصائد محفوفة بالدموع الحزينة مغسولة بخمر الذكريات والأحلام وفي قاع وحل المسافة المعروشة بظلام الغربة والعذابات والقلب المرهف هائج بجنون السكون تتلوى أمواجه سرا في موكب الألم تتصادم في رحلة طويلة ومستمرة على مد البصر،

كل شيء هنالك يرتجف مسكون بالخوف الداخلي العميق، مشبع بالاهتزاز، المسافة بعيدة بعيدة جدا، والسهول الرخوة مازالت أسراب من الأحلام ممتدة ترسم سرداقات الدموع السمراء المعشوشبة بالألم المقشرة بالصقيع ووحل الغربة الآسن، والقرى المسافرة مع أطياف الريح تطارد الأمواج الهادرة ورائحة السراب الخرافي البعيد، السراب الفنتازي المختلط برمال الصحارى البعيدة، القاحلة المحفورة في شرايين الأطياف والذكريات العنيدة، المنسية في دفاتر الرحالة وشبق الحبيبات وعيون الأبنوس وفاكهة الجغرافية المستحيلة، المنهكة في طواحين المكان، وأنياب الزمان والقصائد السمراء تتلوى بالصقيع والنكد المنسوج بهواجس الرحيل والمواعيد والبراري والأحلام المكسورة.

كل شيء هنالك سري غير مباح، سري مكبل محروم من الخريف، محروم من رائحة السافنا ونسمة الحروف، والشلالات الذهبية، وخرير الجداول الفضية.

كل شيء محروم من ظلال الأبنوس، من دمعة العيون السمراء من ضحكة الجبال الزرق من أصوات الوادي الأخضر، من الشواطئ الدافئة، والنخيل الباسق، والبساتين الرائعة، وحلم الأبجدية الأزلي، وكتاب الطفولة الأول، وموعد البهجة.

نعم مازال الجناح مكسورا. الأغنية طويلة. طول الرحلة والقصة كبيرة بحجم الجراح، والدمعة سخينة بلون الاتراح، والمسافة مضنية ومتعرجة بشكل النواح، ورسومات المشهد تعشق المطر والنسمة الدافئة، وأطياف السافنا والرموش السمراء والنهود الملبدة بوهج الصيف ورائحة الخريف هنالك

**مدينة الاحلام و الشجون**

فى الايام القديمة البعيدة كبعد المكان تلفنى ذكرياتى بلا وشم وبلا حقائب و بلا اقلام استطرد كل خيول قصائدى و كل قطارات احلامى  وخفقات سهادى العنيد اتوسد بقيا عزلتى بوحشة و سكون بصمت يكسونى الملل و الرتابة  ولم اعد جزء من نصوص انتمائى للورد و الرياحين و لم اعشق فى سرى حيث المطر فى قلبى توقف فجاءة  كأنى لم اولد بعد  جزء من همسات الايام المليئة بشبح المغامرة و الصمود و التجلى و الفضول المستمر و حيث اكون او لا اكون بعد ما انهيت دراستى الجامعية فى القانون  بالعاصمة الليبية طرابلس  كنت وجلا اتمشى اتفقد كل العناوين البعيدة و الخبرات العميقة اتقفى اثر الاشياء  ارنو لأعلى  لا ارقص فى دائرة الخوف  فقررت ان اواصل دراستى العليا فى القانون  وقبل الالتحاق بالعمل فى مجال القانون كنت مهتما بمواصلة  البحث و التنقيب عن المصير و الهجرة وراء البحار لأكمال  الدراسات العليا ومشت الظروف ان اقوم بمراسلة عنوان احدى المؤسسات بمدينة سدنى بأستراليا القارة المحظوظة كما كنت اعتقد و كما سمعت عنها فى كثير من اخبار المارة و الرحالة و المغامرون  وكنت افكر و اهم بسداد نفقات الدراسة و السفر الى ما وراء البحار و التى ستكون مرهقة  لحد لم اعد احتمله  و بما ان الدراسة   ستكون باللغة الانجليزية لم اكن قلقا لانى لدى المام بها و قد قرأت كتابات الكاتب الجنوب افريقى  آلان بتون , و شكسبير و برنادشو فى الادب الانجليزى و اعتقدت ان رائحة المغامرة و المتاعب و الحياة الملوكية هى مزيج للخبرات   لكن  الحياة فى استراليا قد لا تختلف لشاب يافع من افريقيا تعود على الغوص فى الرمال  و الرماد و الوحل  و تسلق الجبال و اللعب فى الترع الراكدة و المغامرة فى الادغال هى تجربة كافية  كى لا ادخر الكباء ليوم الغربة المرتقبة و  لم اكن اتخيل كيف تكون استراليا و ماهيتها فقد ارسل لى  القبول الجامعى من معهد لدراسة اللغات و الادارة  على ما اعتقد انه شمال مدينة سدنى و فى وقتها لم اعرف عن مدينة سدنى الكثير سواء انها مدينة استرالية  بعيدة تخترن فى جوفها رائحة الاوقانيوس و تاريخ سكان استراليا الاصليون الابيروجونيز و  الحياة الجديدة فى اقصى الكرة الارضية و لكن  المؤسسة التى كانت تقوم  بتنسق عمليات قبول الطلاب  الاجانب خاصة القادمين من افريقيا و الشرق الاوسط تتففن بتجميل الحياة و تشجيع القادمين بالمزايا الجميلة و الروعة المنقطعة النظير و السعادة الابدية و الدفئ المتكامل  فقد ارسلت لى خطابات تحدد مواعيد الدراسة و الحياة الجامعية  بفخامتها و تواضعها و السكن الجامعى  و الاجراءات الادارية و لمحات عن تاريخ استراليا و الطقس الرائع  و البيئة المتميزة و المتفردة  و المدن  النظيفة المرتبة الجميلة  و الراقية و  مثاليتها  وخاصة مدينة سدنى العاصمة التجارية  ومن اشهر معالمها مبنى الاوبرا هاوس بشكله الهندسى المجنح الملفت للنظر حيث هنا قمة فنون العمارة  و المناظر السياحية  و الحيوانات البرية خاصة شعار استراليا حيوان الكنغرو  الذى اراه فى الصورة  وهو واقف على رجليه يحمل ابنه على جراب بطنه بحكمة بالغة و محيرة و هذه فطرة الاشياء  هذه قصة قديمة مرت واصبحت من الماضى  لكنها لم تدفن بفشلها ولم تغمر بتراكم الايام و الاشهر حولها و انما  هدات فى ثبات عميق .

 وبمان ان التاريخ يعيد نفسه اتت الظروف ان  اواصل دراساتى العليا فى مكن غير الذى  سكبت فيه ماء عيونى و رسمت فيه بهو اغنياتى و عانقت فيه  شكل المطر الخرافى و فى الوقت الذى  سكنت فيه اشرعة رحلتى  نحو الارض الجديدة فى اقاصى اطراف العالم حطت بى رحال الايام ان  لا اتخلى عن خوض غمار السياسة فى بلدى السودان و اكتب فى  الادب  الشعر و القصص واهتماتى  بالكتابة و العمل فى مجال حقوق الانسان وهذا  سبب لى المتعب المؤلمة و حرمنى  دفئ الايام الجميلة  و حال بينى وبين البقاء مع عائلتى بامن وسلام  و قد افتقدت اهلى كثيرا و غادرت  بلدى مجبرا اتحسر و ابكى فى سرى من اعماقى انزف بحرقة  اعاتب البشر و الشجر اخاطب البحر و السماء  اتحدى صقيع الشتاء و قساوة الاحلام و هلوسة الليالى المعتمة و مرارة التشرد و التسول فى قاع الخريطة  انظر عبر ثقب كلماتى لكل المدن الخرافية و لكل الجزر الساخنة و لكل  الاعلام الممزقة و لكل الحيطان و الجدران الصلبة كل شيئ امامى هو لوحة بلا منافس  حتى رائحة الدموع وضوء الشموع و الصلوات و الخشوع و حتى ظلى من حولى رهيب ان يبقى بلا ملامح لابد ان يرحل وقد وحطت بى الرحال بالقارة الاوربية بمملكة بلجيكا و لم اكن ادرى الكثير عنها و استقر بى المقام بمدينة بروكسل العاصمة الجميلة التى سكنت فى اعصابى و  رسمت فى جوفى بعض كلمات البقاء و الصمود و التضحيات و عدم الانطفاء و شاءت  المشيئة  ان و ازور بعض المدن البلجيكة فى شمال وجنوب بلجيكا فى زيارات خاطفة ولمناطق محددة زيارة اصدقاء او معارف او مشاركة فى ندوة او منشط ثقافى ثم اعود لغرفتى الصغيرة ببروكسل اتوسد امتعتى و افكر فى المجهول  بلا انقطاع  لكن هذه المرة جاءت الدعوة و المشاركة مع منظمة الكتاب البجيك  المعروفة القلم الفلمانى او بين فلاندر و استضافتى  بشقة رائعة وجميلة و منظمة و مرتبة فى الدور الثانى و قبل ان ارى الشقة  كنت اجلس بمقهى رويال على المحطة القطار الرئيسية المعروفة بالسنرتال استيشن و معى صديقى الدكتور محمد الغريانى مصرى هولندى الجنسية  و قد كنت على موعد المنسق  صديقى الرائع سفين ومعه والده كان يحاكينى مرة بالفرنسية بلطف و ادب عال  و مرة بالهولندية و مرة اخرى باللغة الانجليزية اذ  ان السيد سيفن يعمل استاذ للغة الهولندية لتلعيم المهاجرين و هو صحفى و نحن فى محطة القطار قبل ان نتمتطى سيارة والده لفت انتباهى اننا سرنا عبر الممر  المتتد  بكشل  مميز اعلى محطة القطار  حيث ان المدخل  باعلى المحطة  هو يؤدى لمحلات الالماس  و هذه المرة الاولى لى ارى محلات تجارة الالماس اعلى المحطة وعند  وصولنا للمصعد الكهربائى الخلفى كانت يد والد المنسق سيفان تشير لى على اليمين هذه حديقة الحيوان الرئسية و كنت اتجاذب  معه اطراف الحديث و تحركنا نحو جنوب المدينة على ما يبدو لى  اذا لم اكن انا قد فقدت مؤشرات الاتجاهات حيث شقت السيارة  طريقها بتأنى وروية وغير مسرعة كنت اجول بخاطرى نحو الشمال و الجنوب مرة تلو الاخرى اتفحص معالم المدينة و لقد لفت انتباهى ان هذه الميدنة نظيفة ومرتبة و تبدو حتى وصلنا لمقر اقامتى بشارع بروكسل الواقع بمدينة انتويربن بالقرب من مبنى المحكمة الجديدة و قد صعدنا حتى وصلنا للشقة مكان الاقامة وبعد ان اكملنا اجراءات السكن و التسليم و التسلم  تركنى صديقى  اسفين و غادر ليلتقى بعائلته و  حيث جلست وحدى انظر عبر النافذة فأذا بى اجد نفسى اتخيل ان منظر المحكمة امامى  هو يشبه  ذاك  المنظر القديم  لمبنى اوبيرا هاوس الشهير بمدينة سيدنى الاسترالية التى سكنت فى ذاكرتى منذ مدة و بما اننى  درست القانون  انظر للمحكمة عبر النافذة فهل انا يا ترى فى غرفتى ام على شاطر البحر اتأمل الشكل الهندسى لمبنى المحكمة الجيدة ليبدو احيانا  مثل السفينة  الراسية على الميناء تترقب المسافرون للملاحة فى رحلة بحرية ممتعة تقود و هنا مرة اخرى اجد نفسى بمدينة انتويربن الميناء القديم الذى منه غادرت افواج من البشر للارض الجديدة و قد زرت الحوض المخصص لبعض السفن و المشهور بحوض بونابورت نسبة لبناء فى عهد نابيلون  وها هى الذاكرة لم تتوه ما بين سدنى و انتويربن لتدق ناقوس للذكرى و الايام الماضية و تظل المدينة عامرة و بحركتها و الاضواء و رائحة المطر و اصوات النوارس و طيور البحر التى لم تغادر بعد  , و غرقت فى لحظات خيالى مسافرا اتستنشق عبق ,

 مدينة  الاحلام و الشجون

 تعطرنى بصباحات الايام الرائعة

و الشمس بخيالها السرمدى الشفاف

 ترسمنى وشم فى الافق

 و النهار ارجوحة من عسل الندى

قولى من انت ايتها المدينة الخرافية الدافئة

و الكلمات  الرخوة من اعماق نبضاتك  تنادينى

من وراء ومض عينك الابدية

اه... يانت درة المرافئ و المدن العاشقة

 اسقينى ملئ ايامك تخب من كأس النشوة

 اسقينى انتماؤك للقمر و صدى السمفونيات العجيبة

و السماء الزرقاء  تلهمنى  فيك بلهفة

 تحت وجنات المطر

 اذوب و اتوكأ على مسارات الروح ارقص معك

احمل  قلبى كمشعل القداس

 ونحن انت و من انت حين يتسرب فينا سحرك

 يا لك من رونق خرافى الجمال

و السفن عبر قنالك  تنتظرنا  سرا تحت رموش المسافة

 نلتقى  معا وراء  حائط الشجن

 و الاغنيات تنساب كالشلالات

 و همس الماضى  يستوحى معنا عبق الترانيم

 و القلوب الصافية شمعة للوفاء

 و نحن جدلية للامس العنيد

 و انت سرب لاغنيات المطر  و الكلمات الناعمة

يا مدينة الرياحين الدافئة و فيثارة الشعراء

و الصبر و عد خرافى  و كلماتنا عماد للروح و الشجن

  و نحن نلتقى سرا فى غابة الشعاع و البحر و نكهات القبل

 و بينما انا ارنو بنظراتى و خيالى بروعة و تجلى  استرسل مع زوارق قصائدى و رحلاتى و تجوالى فجاءة  رن هاتفى المحول  لأجد احد اصدقائى ببروكسل يسألنى هل انت موجود بالمنزل ببروكسل ليقوم بزيارتى فقلت له لا كلا انا الان بمدينة انتويربن تحت ضيافة اتحاد الكتاب البلجيكيين الناطقين بالهولندية و استرسلت اشرح له المدينة و انطباعاتى نحوها و شكلها و المزاج العام و كانت مكالمة  رائعة  تحفة لانها جزء نبض المدينة .

**الفهرست**

 وانا وحبيبتى لونان بلون قوس قزح

 اكتبيني نشيدا للأحلام والإنسانية

أنـتِ أغنية المطر والشجون

شبق الأبنوس وقداس الدموع

 نحن والقاع

 ايقاعات يوم على الرمال

 رمشة من الماضى

 مدينة الشجن السر

القصة عنيدة أيتها الأرض السمراء

 حلم العنقاء البدوية

 الرقم 17

وهج الفانتازيا

اغنيات الدموع الشاحبة

بكائيات على خط النار

رقصات تحت المطر

دموع الأرض السمراء

دموع الأبجدية ورائحة السافنا

أنشودة الأبنوس الدافئة وثلوج الشمال

مدينة الاحلام و الشجون

**نبذة عن الهادى عجب الدور**

الدكتور الهادى ادم عجب الدور محامى و شاعر و كاتب سودانى من مواليد 1971 بمدينة مليط غرب السودان بولاية شمال

 وقد عمل فى حقل القانون محاميا ثم مستشارا قانونيا لعدد من الشركات و المؤسسات بليبيا و تونس و السودان و تشاد .

عمل متطوعا مع منظمة فليخيك وريك فلاندر البلجيكية فى بروكسل

عمل متطوعا مع جوزيفا فونديشن فى بروكسل

عمل مستشار متطوع بمفوضية العلاقات العربية الاوروبية فى بروكسل

عضو مجلس القضاء العربى الاوروبى لاهاى و بروكسل

عضو مؤسس للمنتدى الثقافى السودانى ببلجيكا ,

عضو مؤسس لمركز جنوب الصحراء و وسط افريقيا للدراسات

عضو مؤسس لأتحاد الشعراء المهاجرين ,

كتب الشعر و القصة القصيرة و المقالات بعدد من المواقع الالكترونية السودانية و العربية اجريت معه عدد من المقابلات الصحفية حول الشئون السودانية بالصحف السودانية مثل صحيفة القرار و المحرر و صحيفة رأى الشعب الخ.. والصحف العربية و الدولية مثل صحيفة القدس اللندنية وصحيفة الواشطن بوست و نيورك تايمز و جريستين مونيتر سينس و بعض محطات التلفزة مثل قناة الجزيرة و قناة الحرة وقناة الأل بى سى اللبنانية و تلفزيون العالم و التلفزيون الصينى و قناة فضائية فنلندية وقناة الشروق السودانية بدبى و تلفزيون السودان وقناة الليبية الفضائية و قناة الجماهيرية الليبية وقناة الام بى سى وتلفزيون انتويربن البلجيكى وقناة المقاومة الايرانية وبعض وكالات الانباء الدولية مثل وكالة رويتر للانباء و وكالة الصحافة الفرنسية و و كالة الشرق الاوسط للانباء و وكالة الانباء الصينية ومحطات الاذاعة مثل محطة الاذاعة الليبية ايف ام و هيئة الاذاعة البريطانية و راديو مونتكارلو و راديو فرنسا الدولى و راديو سنترال اف ام البلجيكى بمدينة انتويربن و راديو وتلفزيون لكسمبورج و راديو الكاثوليك الفرانكفونى فرنسا – بلجيكا و رايدو فنلندا و اذاعة صوت المانيا دوتش فيلى , و اذاعة عافية دارفور من واشنطن و اذاعة راديو دبنقا من امستردام ,

ترجمت له عدد من النصوص و القصائد للانجليزية و الهولندية و الفرنسية و نشرت له عدد من القصائد و القصص بالمجلات الادبية البلجيكية المتخصصة الناطقة بالهولندية مثل مجلة خريك و مجلة كناك الواسعة الانتشار و مجلة بين فلاندرين السنوية المعروفة بالكتاب السنوى و مجلة الشعر الهولندية البلجيكية الناطقة باللغة النيرلندية .

شارك مع اتحاد الكتاب البلجيكيين الناطقين بالهولندية المشهور ببن فلارين فى عدد من الاعمال و القى عدد من المحاضرات حول السودان وحقوق الانسان فى افريقيا و الدول الاسلامية على طلاب المدارس الثانوية الناطقة بالهولندية بمدينة بروكسل و اقليم الفلندرين البلجيكى وقام بألقاءات شعرية على الطلاب باللغة العربية و مترجما باللغة الهولندية شارك بقراءات شعرية بعدد من الاحتفالات و المناسبات و المهرجانات باللغة العربية و مترجما بالانجلزية و الهولندية و الفرنسية .

 شارك بورشة عمل حول المواطنة بمشروع سيتيزن وكيكين اند الايف مع متحف الفنون الجميلة ببروكسل المشهور بمتحف البوذار و متحف البليى فو و بعض المرافق الثقافية بمدينة خنت البلجيكية و بمدينة لوفين البلجيكية شارك بورشة عمل مع اكاديمية اندرليخت للفنون بمدينة بروكسل و منظمة سيتزينا ببروكسل وشارك بورشة عمل مع اكاديمية مالو للفنون ببوركسل وشارك ببرنامج ديوان لمجاراة الشعر التوثيقى للشاعر الالمانى قوته و الشاعر الفارسى الايرانى حافظ بمدينة لوفين مع عدد من الفنانين بكل من مصر و ايران و المانيا وبلجيكا و المكسيك و البرازيل و فرنسا شارك ببرنامج المركز الثقافى بمدينة منن بغرب بلجيكا مع عدد من الشعراء و الفانين من المغرب ومالى و هولندا و غينيا و بلجيكا و الكاميرون الصين و تركيا و السنغال و شارك بمهرجان الشعر الدولى المشهور بفيثارة المهجر عام 2010 مع عدد من الشعراء من روسيا و البرتغال و فرنسا وبلجيكا السويد وشيلى و الماينا و بلاروسيا و لتوانيا ولاتفيا و اوكرانيا و امريكا و الهند .

 شارك بعدد من الافلام مثل الفلم الامريكى الوثائقى حول دارفور اخراج شان بيرو وديفيد ماراتولس و شارك بالفلم البلجيكى حول الهجرة اخراج لوران ليكر ,

شارك فى المنصة للتعليق الفلم المكسيكى الامريكى حول الهجرة المشهور ب هوس ديانى كريستال معلقا مع مشاركين من منظمة الهجرة الدولية و المفوضية السامية للاجئين التابعة للامم المتحدة و منظمة سينما الامم المتحدة ,

له ديوان شعر صدر بالقاهرة من دار المحروسة بأسم دموع الزنبقة العذراء له عدد من دواوين الشعر تحت النشر على سبيل الحصر تآملات فى اعماق الجرح , ما احلى النوم على الارصفة , دموع على المطرقة , حصاد الدموع النية, الابتسامة الزابلة , نحن ابناء الشمس و الابنوس , شهقات القدر ومواويل السحر , جراح الاسى و اشجان المساء, دولة الياسمين . حقول الانسان بين العولمة و الارهاب . وبعض البحوث عن النمذجة السودانية .

 عمل ناشط حقوقى ومارس العمل السياسى وشغل منصب الامين العام لجبهة القوى الثورية المتحدة و المنسق العام لتحالف غرب السودان وكان عضوا بوفد المفاوضات السياسية لحل قضية دارفور بمفاوضات سرت بليبيا2007 ثم مفاوضات الدوحة 2009 الى 2012 شارك فى عدد من ورش العمل فى اريتريا مع مركز القرن الافريقى لبناء القدرات و روشة عمل بجنوب السودان مع لجنة دارفور المشهور بتسك فورس دارفور , و مركز الحوار الدولى الانسانى بجنيف , ورشة عمل حول رفع قدرات المفاوضين مع البنك الدولى و ورشة عمل مع جامعة جورج مادسون الامريكية و الجامعة الامريكية بواشنطن و جامعة سيينا بأقليم توسكانا الايطالى و معهد الابادة الجماعية , ورشة عمل بجامعة بروكسل الحرة يو ال بى , و جامعة لوفين الجديدة البلجيكية بولونيا و ورشة عمل مع المحكمة الجنائية الدولية بالتعاون مع اتحاد دارفور ببلجيكا وجامعة بروكسل الحرة , شارك بعدد من المؤتمرات بالبرلمان الاوروبى ببروكسل حول حقوق الانسان فى العراق و ايران وسوريا حضر عدد من المؤتمر حول حقوق الانسان بباريس شارك بعدد من السمنارات فى مصر و اديس ابابا و كمبالا و نيروبى وتشاد و ليبيا و ايطاليا وفرنسا و بلجيكا و هولندا ,

**مؤلفات للهادى عجب الدور**

حصاد الدموع النيئة

ما احلى النوم على الارصفة

دموع الزنبقة العذراء

عصفاير تحت الرماد

تآملات فى اعماق الجرح

دولة الياسيمن

جراح الآسى و اشجاء المسا

شهقات القدر و مواويل السحر

 الابتسامة الزابلة

 نحن ابناء الشمس و الابنوس

دموع على المطرقة

و عدد من البحوث و اوراق العمل